كانو الثقافية

مجلة ثقافية نصف سنوية - تصدرها جائزة يوسف بن أحمد كانو

العدد التاسع
رمضان 1435 هـ
يوليو 2014 م

الصوم..
في عيون الغرب.. ونفحاته الصحية والنفسية والتربوية

الحضارة الإسلامية
وعولمة الإعلام والثقافة

الجديد في الرضاعة البشرية

من عمالقة الشعر العربي
(بدوى الجبل / شاعر)

بسم الله الرحمن الرحيم

كانو الثقافية

المشرف العام

أ.عبدالعزيز بن جاسم كانو

هيئة التحرير

رئيس التحرير

د. سعيد بن عطية أبو عالي

نائب رئيس التحرير

د. عبداللطيف بن جاسم كانو

مسؤول التحرير والعلاقات العامة

أ.مبارك بن سعد العطوي

مجلة علمية ثقافية شاملة تأسست عام 1429هـ - 2008م

تصدر عن جائزة يوسف بن أحمد كانو - بمملكة البحرين

العدد التاسع – رمضان 1435هـ - يوليو 2014م

قواعـد النشر

- غايتنا المساهمة في تنمية الإبداع والثقافة والتقدم العلمي.
- المجلة ترحب بالبحوث والدراسات في جميع المجالات العلمية والأدبية والاقتصادية.
- وتحتفي أيضاً بالموضوعات المتعلقة بالطب ومجالات التقنية والمعلومات إلى جانب الدراسات المستقبلية.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة توضيحية وليست مرجعاً للحدود الدولية.
- البيانات والإحصاءات تقريبية.
- المجلة لا تلتزم بإعادة المواد التي تتلقاها للنشر.
- ما ينشر يعبر عن رأي الكاتب ولا يعبر عن رأي المجلة.
- يجوز الاقتباس ممّا ينشر شرط الإشارة إلى المجلة ورقم العدد وتاريخ الإصدار، وإلا اعتبر خرقًا لقانون الملكية الفكرية.
- يرسل الكاتب عنوانه كاملاً، وسيرته الذاتية إذا كان يكتب لأول مرة في هذه المجلة.

المجلة ترحب بكل نقد وتوجيه واقتراح

- يسعدنا أن نتلقى رسائلكم بواسطة البريد أو على جهاز اللاقط (الفاكس) أو على البريد الإلكتروني.

وللجميع شكرنا وتقديرنا، ،،

هيئة التحرير

جميع المراسلات بإسم رئيس التحرير

ص.ب: 1170
المنامة – مملكة البحرين

هاتف
(+973) 17226153

فاكس
(+973) 17226154
البريد الإلكتروني
kanooawd@batelco.com.bh
الموقع الإلكتروني
www.ybakanooaward.com

جرافيكس
الرافد ميديا
Al Rafid Media
+973 39139122

المؤسسة العربية للطباعة والنشر
رقم التسجيل: SYKCO 786

المحتويات

فكـر وثقـافة

- الـــوقف.. ابتكـــار اســـلامـــي — 9-6 — د. سعيد بن عطية أبو عالي

علوم طبية

- الجديد في الرضاعة البشرية — 19-10 — د. محمد جميل الحبال
- الصوم في عيون الغرب.. ونفحاته الصحية والنفسية والتربوية — 27-20 — د. هدى صباح

دراسات اقتصادية

- الوقف النقدي ودوره في تمويـل المشروعات الصغيرة — 37-28 — د. نادية محمد الدمياطي
- الحضارة الإسلامية وعولمة الإعلام والثقافة — 59-38 — د. رضا عبد الواجد أمين

دراسات أدبية

- قراءة في كتاب — 65-60 — محمد سيف الإسلام

تراث

- نافذة على التراث (2) — 67-66 — عبد القادر محمد الزين

أدب

- دعينا نفكر (قصة قصير) — 69-68 — د. أحمد محمد كنعان
- من عمالقة الشعر العربي (بدوى الجبل / شاعر) — 75-70 — جاك صبري شماس
- القدس وكوشان الأرض (قصيدة) — 77-76 — مصطفى أبو الرز
- صديقي المفقود (قصيدة) — 81-78 — المنجي سرحان
- المنطقة الخطرة — 83-82 — محمد عباس علي

إضاءات

- مجلس الأمناء يلتقي رئيس وأعضاء مجلس شركة يوسف بن أحمد كانو — 87-84 — مبارك سعد العطوي

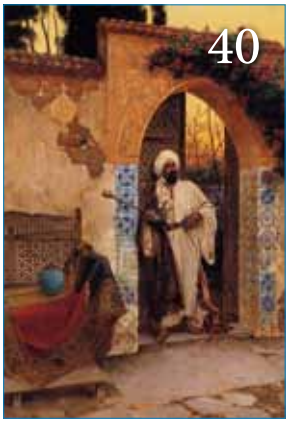

الوقف.. ابتكار إسلامي

د. سعيد بن عطية أبو عالي

ابتكر المسلمون وقف بعض أموالهم في حياتهم أو وقفها بعد مماتهم على أعمال اجتماعية خيرية ينتفع بها الناس أو الحيوان تقرباً إلى اللّه.

ولعلَّ مسجد قباء الذي أسسه الرسول صلى للّه عليه وسلم في المدينة هو أول وقف ويأتي بعده المسجد النبوي فقد أوقفهما الرسول على المسلمين للصلاة فيهما ودراسة وتدريس العلوم الدينية..

وتطورت فكرة الوقف خلال العصور الإسلامية حتى أصبح الواقفون يشعرون بحاجة الناس إلى المساعات المادية لتحسين ظروف حياتهم أو لسد حاجاتهم الضرورية. وتجلت الحاجة في العصور الأخيرة إلى مساعدة الطلاب حتى يواصلوا طلب العلم وكذلك تبلورت الحاجة إلى مساعدة حفظة القرآن الكريم.. ولم ينحصر حسُّ الواقفين بحاجات الإنسان فقط بل تجاوز ذلك إلى الحيوان.

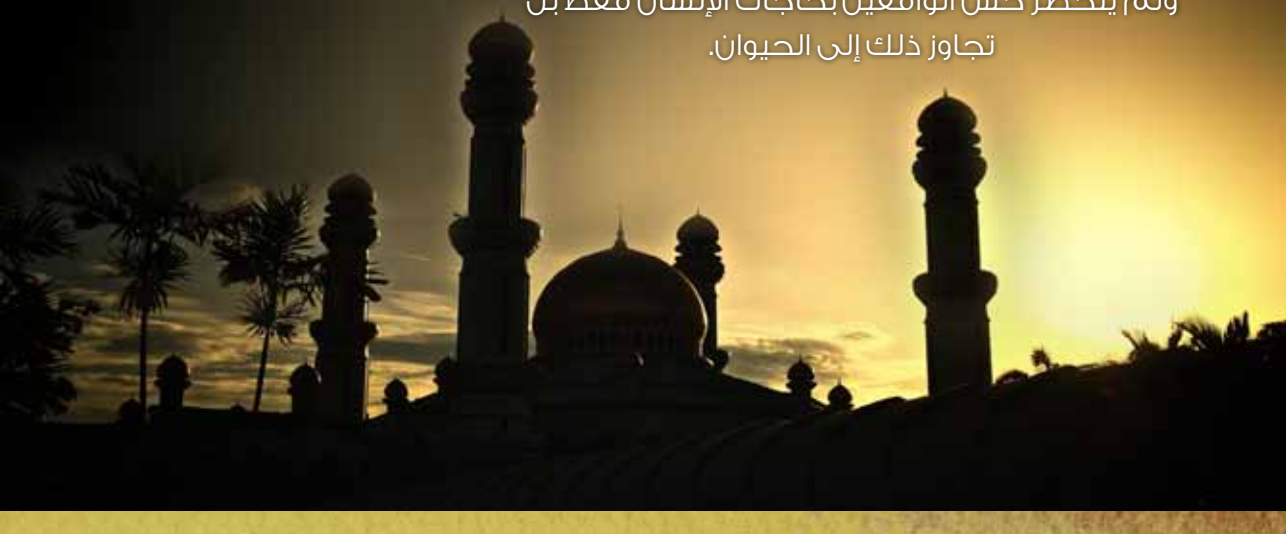

وحظي الوقف عند المسلمين بدراسات العلماء والفقهاء لهذه الخصيصة لمجتمعهم الإسلامي فربطوا أعمال الوقف ونوايا الواقفين بما ورد عن ذلك في الكتاب والسنة.. وفي هذا السياق فإننا نقتصر على الدراسة إلى التي قدمها الفقيه المشهور عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المتوفى عام 620هـ في الجزء الثالث من كتابه الشهير (الكافي) (1) وذلك في 21 صفحة تحت عنوان (باب الوقف) وعرف الوقف بأنه تحبيس الأصل، وتسبيل الثمرة (الكافي، 571). ونفسره نحن بأنه تحبيس شيء أو علم لمصلحة الإنسان أو الحيوان. واعتمد ابن قدامة في مقدمة دراسته على ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم برواية مسلم أنه قال: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث، علم ينتفع به من بعده، أو ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية".

ولعلَّ سيدنا عمر بن الخطاب هو أول الواقفين من المسلمين فقد ثبت برواية البخاري ومسلم رحمهما الله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن عمر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إني أصبت أرضاً بخيبر، لم أصبْ مالاً قطَّ أنفس عندي منه، فما تأمرني فيها؟ قال: "إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها، غير أنه لا يباع أصلها. ولا يُبتاع، ولا يوهب، ولا يورَّث" فتصدق عمر رضي الله عنه، في الفقراء، وذوي القربي، والرقاب، وابن السبيل، والضيف، لا جناح على من وليه أن يأكل منها، أو يطعم صديقاً بالمعروف، غير متأثل منه، أو غير متمول فيه. (الكافي 572-571).

ويصحُّ وقف شيء معين أو متاع فالشيء المعين مثل الأرض المحددة، والمتاع مثل أرض ما تزال ضمن أرض أكبر لأكثر من مالك ولم تفرز بعد. وانطلاقاً من نفس الحديث الذي اعتمد عليه ابن قدامه فإنه يصح الوقف على برٍّ، كالمساجد، والقناطر، والفقراء، والأقارب، أو آدمي معين، مسلماً كان أو ذمياً، ولهذا جازت الصدقة عليه (الكافي 574)

والوقف عند المسلمين تصرف ثمرته أو ريعه إن كان يخضع لقوانين الاستثمار على الناس وعلى الحيوان. وقد تطور الوقف وأشكاله في عصور بني أمية والعباسيين وفي أيام الدولة العثمانية ولم يعرف المجتمع الغربي معنى الوقف وفوائده إلا عندما اقتبسه أحدهم من العثمانيين.

وللوقف عند المسلمين أشكال مختلفة فلدينا وقف في الأراضي، سواءً مزروعة أو غير مزروعة، وفي الماء مثلما فعل سيدنا عثمان رضي الله عنه عندما اشترى (بئر رومة) وأوقفها على المسلمين، وفي السلاح والعتاد لما يستخدم في سبيل الله مثلما فعل خالد بن الوليد رضي الله عنه، وفي الأموال التي تخصص وينفق منها على مصلحة المسلمين وفي رعاية الحيوان والرفق به. ومن أشكال الوقف:

- وقف أرض زراعية ينتفع الناس بثمارها
- وقف ماء وتسبيله على المسلمين يشربون منه، ويتوضأون وغير ذلك
- فتح مأوى لكبار السن والعاجزين من الناس
- فتح مأوى لإيواء الحيوانات مثل الكلاب الضالة
- تحبيس أموال وتسخيرها للاستثمار حسب

أوجه الشرع والصرف منها على وجه معين مثل: حلقات تحفيظ القرآن الكريم

• بعض الكراسي العلمية المتخصصة بالجامعات.

أما الغربيون فقد اقتبسوا فكرة (الوقف) من أيام الدولة العثمانية وطوروه حسب حاجات مجتمعاتهم وأطلقوا عليه مسمى (هيئات المجتمع المدني) وقد تعددت أشكال الوقف لديهم مثل:

• تخصيص مبنى لإحدى الجامعات لاستخدامه للدراسة بأحد الأقسام العلمية أو الكليات. وقد سكنت أيام الدراسة بأمريكا في مبنى كان في السابق فندقاً وأوصى به صاحبه للجامعة تستخدمه فيما ينفع الجامعة ويطورها فحولته الجامعة لاستثماره في إسكان طلاب الدراسات العليا بها (طبعاً كل طالب يدفع رسوماً مالية مقابل سكناه بالجامعة)

• رجل أعمال اسمه تشارلز ستيوارت موت في مدينة فلينت بولاية ميشيغان أوقف مئات ملايين الدولارات في القرن الماضي لإنشاء مؤسسة تربوية تساعد الطلاب المتعثرين في دراساتهم لأسباب ليسوا مسؤولين عنها، والطلاب النابهين الذين لا يستطيعون الصرف على أنفسهم ولا يملكون رسوم التعليم. وكذلك مساعدة المدارس التي تقع في أحياءٍ سكنيةٍ فقيرة بتدريب مدرسيها كي يقدموا تعليماً راقياً لطلابهم.. وغير ذلك وهدف وشعار المؤسسة، هو مساعدة أولئك الذين لا يستطيعون مساعدة أنفسهم لكي يساعدوا أنفسهم. وهكذا فإن المؤسسة تزرع في كل محتاج ينتمي إليها فكرة (دع الناس يعرفوني بعملي).

ولقد بحثت عن كلمات تدل على الوقف وتشير إليه في الموسوعة البريطانية وفي مختصر قاموس أوكسفورد وفي قاموس أميركان هيريتاج(2) تحت كلمات يعطى (Give)، يتبرع (Donate)، يساهم (Contribute)، لعلي أجد فيها ما يدل على الوقف بذاته فلم أجد ذلك؛ وهذا يعزز نظرية أن الوقف ابتكار إسلامي مارسه المسلمون منذ العصر النبوي انطلاقاً من شعورهم بحاجة الغير إلى المساعدة.

وهكذا يتضح أن (الوقف) عملية إنسانية ابتكرها المسلمون.. وأخذها عنهم الغربيون.. فالملاحظ في هذه الأيام أن المسلمين ـــ ولله الحمد – عادوا إلى تنشيط وتوسيع وتنويع فكرة (الوقف) بما يعود على الإنسان والحيوان بالفائدة.

أهم المصادر والمراجع:

• ابن قدامه، عبد الله بن أحمد بن محمد: الكافي، الجزء الثالث، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبع الكتاب بكامل أجزائه على نفقة سمو الأمير متعب بن عبد العزيز آل سعود في دار هجر بالقاهرة 1417هـ - 1997م.

• American Heritage Dictionary، 2nd edition، Haughton Mifflin Company، Boston، MA. United State of America، 1985

Clearance H. Young and William A. Quinn: Foundation For living، Mc Grow-Hill Company، New York، 1963

The Concise Oxford Dictionary، Oxford University Press، 1964

The New Encyclopedia Britannica، Volumes 10، 17، 15th edition، 1995.

الجديد في الرضاعة البشرية

(رضاعة الثدي)

(الرضاعة البشرية) موضوع حافل ويهتم به كثير من الأطباء والأمهات والباحثين. وهو موضوع يستثير لديَّ مساحة واسعة من التفكير. وأراه جديراً باهتمام جميع أساتذة الطب والباحثين لما له من الأهمية الصحية والنفسية والبدنية والاجتماعية والاقتصادية والتواصل الممتد بين الأم المرضعة وطفلها. ولقد استجدت أمور في غاية الأهمية بخصوص فوائد الرضاعة البشرية ودورها في الوقاية والعلاج بالنسبة للطفل والأم على وجه الخصوص وانعكاساتها الايجابية على الأسرة والمجتمع والأمة بصورة عامة.

د. محمد جميل الحبال

دعـــت منظـمـة الصـحـــة العـــالـمـيـة (Who) ومنظمة الأمم المتحدة لرعاية الطفولة (اليونيسيف Unicef) وأكاديمية الأطفال في الولايات المتحدة (App) ومنظمات أخرى في أوروبا وغيرها، للتأكيد على أهمية الرضاعة الأمومية (الطبيعية) وتجنب الرضاعة الصناعية والبقرية، خاصة في الأشهر الستة الأولى من عمر الطفل الرضيع، وذلك بحصر تغذيته على الحليب البشري من الأمهات بالدرجة الأولى، أو من المرضعات بالدرجة الثانية، أو من مصرف الحليب البشري الذي يتوفر في بعض الدول كمصدر للغذاء الطبيعي وذلك في حالة تعذر الرضاعة الأمومية وعدم اللجوء إلى استعمال خلائط الرضاعة البقرية المنشأ إلا في حالة عدم توفر الرضاعة الأمومية البشرية. وتؤكد توصيات هذه المنظمات على الاستمرار برضاعة الثدي كلما كان الحليب البشري من الأم أو غيرها متوافرا لعامين أو أكثر من عمر الطفل. ونذكر ادناه أهم فوائد الرضاعة البشرية للطفل وللأم على حد سواء:

توثيق العلاقة بين الطفل والأم

أثبتت الدراسات النفسية أن الطفل يشعر بالاطمئنان والسعادة وهو يرضع من صدر أمه، فينشأ محبا مطيعا لها ومستقراً نفسيا وتتوطد العلاقة الأسرية بينه وبين بقية أفراد أسرته (الوالدين والأخوة).

والأم هي أيضا تشعر بالغبطة وتغمرها السعادة كلما استمرت بالإرضاع لأنها تكون قد حققت فطرتها الإنسانية و قامت بواجبها تجاه فلذة كبدها. إنها تغدق عليه من خلال الرضاعة كل العطف والمحبة والحنان إلى جانب الغذاء المثالي الذي يحتاجه حسب عمره ووزنه. إن الغدة النخامية في الدماغ تفرز هرمون (Oxytocin) وهذا الهرمون يزيد الثقة والمحبة بين الأم ورضيعها ويسمى لذلك (هرمون الثقة)، وينشط الغدد اللبنية في ثدييها بزيادة الإفراز للحليب.. إن هذا الهرمون يذكرنا بهرمون البرولاكتين المدر للحليب (Prolactin)، فضلا عن وظيفته المعروفة سابقا بوقف النزف بعد الولادة وإرجاع حجم الرحم وملحقاته إلى الوضع الطبيعي وخاصة كلما استمرت الرضاعة مدة أطول.

لذلك فإنه لابد من التأكيد على الأمهات بعد ولادتهن على أهمية إرضاع أطفالهن حديثي الولادة بأسرع وقت ممكن، خاصة الدفقات الأولى من الحليب بعد الولادة التي تسمى بشائر الحليب أو اللباء (Colosturm) الذي يحتوي على نسبة عالية جدا تتجاوز 90% من العوامل المناعية والخلايا المدافعة عن الجسم والتي ثبت أنها تخترق حاجز الأمعاء للطفل الرضيع وتصل إلى الدورة الدموية وتنشط الجهاز المناعي. لقد جعل الله لأمعاء الرضيع قابلية الاختراق من الأغذية الخارجية. وهذا ما يعاظم خطورة الاعتماد على الحليب البقري ومشتقاته وخلائطه كغذاء في المراحل الأولى من عمر الرضيع لان فيها بروتينات (LactoalbuminBovine) تؤثر سلباً على صحة الطفل وتؤدي إلى نشوء أمراض الحساسية والمناعة الذاتية وغيرها على المدى القريب والبعيد، حيث إن الجهاز المناعي للطفل الرضيع يتعامل معها كأجسام غريبة، ويفرز أجساماً مضادة لها مما يؤدي إلى حدوث هذه الأمراض.

من أجل ذلك ولغيره فقد أوحى البارئ عز وجل إلى أم سيدنا موسى (عليه السلام) بإرضاعه أولا بقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ -القصص(7).

أي قبل أن تلقيه باليم لإنقاذه من القتل الذي أمر به فرعون لمواليد بني إسرائيل، ولكون حليبها يشتمل على المكونات التي ذكرنا أنها أساسية في تكوين الرابطة الروحية النفسية بينهما.. ولاستمرار هذه الرابطة فقد حرم الله لذلك نجد أن الباري عز وجل يقول بعدها: (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ)- القصص، (12).

وهناك فائدة مهمة جدا من مغزى امتناع سيدنا موسى عليه السلام من قبول الرضاعة من صدر مرضعات غير أمه لتكون التغذية الأساسية والأولى من مصدر موثوق وسليم وصحي، لذلك نشأ معافىً في جسده و معروفا بقوته وشدة بأسه. وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أرضعته حليمة السعدية وهي من قبيلة معروفة بالخصال الحميدة والبيئة الصحية الصالحة فنشأ عليه الصلاة والسلام على أحسن ما يكون من جميع النواحي.. وعندما سئل عليه الصلاة والسلام عن سر فصاحته وبلاغته قال: (أنا أعربكم، أنا من قريش ولساني لسان بني سعد بن بكر) حديث صحيح (الجامع الصغير للسيوطي)

تحسين معامل الذكاء والقابليات الذهنية والعقلية:

ثبت بالدراسات المستفيضة والمقارنة للأشخاص الذين رضعوا من أمهاتهم وأولئك الذين لم يرضعوا، أو رضعوا مدة قصيرة وأكملوا تغذيتهم بخلائط الحليب البقري المنشأ – أن معامل الذكاء I.Q. والقابليات العقلية والذهنية تكون أفضل بكثير وتصل إلى مستويات ذات مغزى إحصائي هام جدا عند الأطفال وطلبة المدارس الذين رضعوا من أمهاتهم... وكلما كانت فترة الرضاعة أطول كان هذا المعامل الذكائي أعلى وأفضل بكثير عما هو لدى الفريق الذي تم تغذيته صناعيا. والسبب في ذلك أن الحليب البشري قد خلقه الله لتنمية الجهاز العصبي والخلايا الدماغية، فهو غني بالمواد التي تحتاجها هذه الخلايا العصبية Neurons وأليافها والقشرة الدماغية وشبكية العين، ومن أهمها:

- الأحماض الدهنية غير المشبعة Poly Unsaturated Fatty Acids
- مركبات omegg-3، Dha or Ara
- الحامض الأميني (التاورين) Taurain

وغيرها من المواد التي تدخل في تكوين

وعمل الجهاز العصبي، وهذه المواد توجد بكميات قليلة جدا وقد لا توجد إطلاقاً في الحليب البقري وخلائط الرضع المصنعة. إن هذه الخلائط تحتوي على بروتين الكازين(Casein) الذي ينمي خلايا العضلات فقط وليس له علاقة بخلايا الدماغ، ولذلك فإن العجول يتضاعف وزنها في نهاية الشهر الواحد من عمرها لأن الله عز وجل خلقها كمصدر غذائي للناس، أما الطفل فيتضاعف وزنه بعد أربعة أشهر من ولادته لأن حليب أمه موجه لنموه وتغذيته بصورة عامة ولجهازه العصبي ولدماغه على وجه الخصوص. لذلك كانت نسبة البروتين في حليب الأمهات اقل منها في البقر وبالعكس، فنسبة العوامل المسؤولة عن تنمية وتكون الجهاز العصبي أعلى بكثير عند الأمهات وربما تصل إلى خمسين ضعفاً مقارنة بالحليب البقري!

ولعلنا في هذا الملمح نصل إلى نتيجة هامة جدا وهي (الخطيئة الكبيرة) التي ترتكبها كثير من الأمهات من عدم إرضاعهن لأولادهن. ومن الجدير بالذكر أن الشركات المصنعة لخلائط الرضع البقرية وبعد هذا الاستكشاف الهام أخذت تقلد الحليب البشري وتضيف هذه المواد المسؤولة عن تكوين وتنمية الخلايا العصبية إلى خلائطها في محاولة للتوصل إلى نفس الفوائد للحليب البشري، ولكن مهما حاولت هذه الشركات تقليد الحليب البشري فلم ولن يستطيعوا ذلك وتبقى محاولاتهم محدودة الفائدة!

الوقاية من أمراض الحساسية وضعف المناعة الذاتية:

توصلت الأبحاث الطبية المتعددة في مختلف أنحاء العالم إلى أن الرضاعة البشرية تقي الطفل من أمراض الحساسية (الربو والاكزما وحساسية المجاري التنفسية والجهاز الهضمي) التي يصاب بها الأطفال خاصة الذين يتغذون على الحليب الصناعي (رضاعة القنينة) إنهم معرضون لأمراض المناعة الذاتية والذئبة الحمراء (SLE) والتهاب المفاصل (الروماتيزم) والتهاب الأمعاء والقولون المتقيح ومرض التصلب الصفائحي المنتشر.

الرضاعة البشرية تقلل أيضاً من الإصابة بداء السكر بنوعيه المعتمد وغير المعتمد على الأنسولين من خلال عدة طرق ومن أهمها تقليل الوزن لدى الطفل الرضيع مع والدته: وحتى الأم المصابة بالسكر فان حاجتها للعلاج تقل عند إرضاعها لطفلها وقد وجد أن كل طفل رضيع رضع لمدة سنة يقلِّل من احتمال إصابة الأم بداء السكر بنسبة 15% على امتداد السنوات الخمس عشرة القادمة من عمرها. ومن المعروف طبيا أن الأطفال الذين يتغذون بالحليب البقري المنشأ يتعرضون للإصابة بداء السكر المعتمد على الأنسولين بنسب عالية أثناء طفولتهم وكذلك بداء السكر من النمط الثاني عند بلوغهم بسبب تسرب بعض البروتينات البقرية أثناء فترة الرضاعة من خلال اختراقها لحاجز للجهاز الهضمي الدموي وتحفيزها للجهاز المناعي كمواد غريبة غير مألوفة له تحفزه لإنتاج أجسام مضادة تؤدي إلى تخريب خلايا البنكرياس المنتجة للأنسولين (B-Langerhans cells).

والرضاعة البقرية أيضاً تزيد عدد وحجم الخلايا الدهنية في أنسجة الجسم لدى الأطفال فيصاب الطفل بالسمنة مما يؤدي إلى استعداده الكبير لإصابته بداء السكر من النمط الثاني وبعد بلوغه نجد أن هذه الرضاعة (رضاعة القنينة)

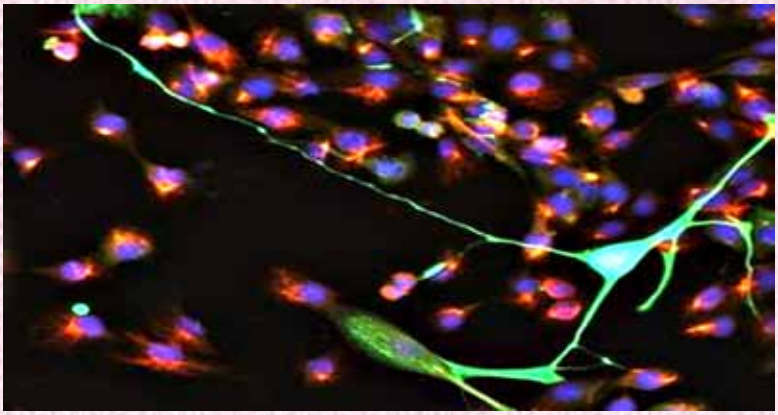

صورة تبين الخلايا الجذعية في الحليب البشري (اللون الازرق والاحمر)

تـؤدي إلـى هـذه الأمـراض بصـورة كبـيرة وبطرق متعددة. بينما الرضاعة البشرية تقي وتحمي من جميع هـذه الأمـراض على المـدى القريب والبعيد. فكم خسرت البشرية من إعراضها عن الرضاعة البشرية الفطرية التي أمر الله بها في محكم كتابه العزيز. ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ - البقرة (233).

الحليب البشري يحتوي على الخلايا الجذعية:

والاكتشاف المذهل والخطير الـذي توصل إليه الطب حديثا هـو العـثور علـى الخـلايـا الجذعية (Stem Cell) في الحليب البشري حيث يعتبر ذلك اكتشافا ثوريا واختراقا علميا خطيرا في المجالات الطبية العلاجية في حلقة الأبحاث المعنية بالخلايا الجذعية حيث بإمكان هذه الخلايا كما هو معلوم (بناء وإصلاح وتجديد) أنسجة الجسم وخلاياه. وتشير الدراسات التي قام بها الدكتور مارك كريكان (Mark Cregan) وفريقه البحثي من جامعة استراليا الغربية في مدينة بيرث إلى أن الخلايا التي تتكون في الغدد الثديية للأم والمكونة للبن الرضاعي وهـي امـتداد لعمل الخـلايـا الجذعية مـن المشيمة (المسؤولة عن الامتداد الدموي والغذائي للجنين في فترة الحمل)، وهي تسلم وظيفتها بعد الولادة للغدد الثديية المكونة للبن الرضاعة لإكمال تميزه الجيني فالرضاعة البشرية تكمِّل مابدأت به المشيمة والتميز النسيجي. ومن تقدير الله عز وجل أن جعل الجهاز الهضمي للطفل الرضيع مهيأ ليسمح بمرور هذه الخلايا الجذعية وغيرها من الخلايا المناعية قبل انغلاق الحاجز المعوي الدموي مما يساعد على نمو وبناء وتوجيه وتطوير جسمه في نفس الوقت.

ولعل في اكتشاف تواجد هـذه الخـلايـا في لبن الأمـهـات، ومايمثله دورهـا الخلوي في نظام «بناء وإصـــلاح وتجـديـد وتـطـور» الـصـفـات المظهرية phenotype للمولود حتى يصل إلى مرحلة البلوغ بروز الحكمة من التشابه الخلوي و النسجي والعضوي و النفسي، الحادث بين من يرضعون على

مرضعة واحدة صحيحة بدنياً ونفسياً فقد قال صلى الله عليه وسلم: (لاتسترضعوا الحمقاء فإن اللبن يورث). رواه الطبراني في الصغير والبزار.

وإذا ما ثبت اختراق الخلايا الجذعية للحاجز الهضمي الدموي في أمعاء الطفل الرضيع فإن ذلك سيكون له تطبيقات طبية مستقبلية في غاية الأهمية لمنفعة البشرية للوقاية والعلاج من بعض الأمراض خاصة الوراثية منها فضلا عن إمكانية الإفادة منها بعزلها من الحليب البشري وتنميتها واستعمالها لعلاج بقية الأمراض المزمنة والمستعصية كإصابات النخاع الشوكي ومرض الزهايمر وداء السكر وغيرها. مع التسليم بأن هناك فرقاً مهماً وخطيراً وهو سهولة الحصول على هذه الخلايا الجذعية وعدم وجود المانع الأخلاقي أو الديني. إن عملية استخلاص هذه الخلايا قد تؤدي إلى إتلاف بعض الأجنة.

وبالطبع فإن تطبيق هذه الطريقة باستعمال الخلايا الجذعية المستخلصة من حليب الأم يحتاج إلى أبحاث مستفيضة جدا للتأكد من عملها وفعاليتها ويبقى السؤال الشرعي حول استعمالها كجزء مستخلص من الحليب وليس ككل الحليب.هل ينطبق عليها قاعدة الرضاعة المحرمة أم لا؟ حيث إنها جزء من الحليب وليس كله ونترك ذلك للعلماء الفقهاء المتخصصين!

الصحة تاج على رؤوس الأمهات المرضعات:

إذا كانت الجنَّة تحت أقدام الأمهات، فإن الصحة تاج على رؤوس الأمهات المرضعات!! ومن فوائد الرضاعة البشرية أنها تشكل عاملا هاما يقلل من الإصابة بسرطان الثدي والمبيض والرحم للمرضعات، وكلما زادت مدة الرضاعة وعدد الإنجاب للأطفال عندهن كلما انخفضت نسبة الإصابة بهذه الأنواع من السرطانات لديهن مقارنة مع النساء غير المرضعات أو غير المنجبات أو المتزوجات (العوانس). فالإنجاب والإرضاع يشكلان عاملان حيويان للوقاية من الإصابة بالأورام والسرطان. وهذا ما أثبتته الدراسات الطبية الحديثة والمتعددة.

كما أن الرضاعة الطبيعية تساهم في التخلص من مخزون الطاقة الزائد، والشحم المتراكم أثناء الحمل، والسمنة المفرطة لدى الأمهات المرضعات.

حيث وجد فريق من الباحثين بالمركز الطبي لمستشفى أطفال سينسيناتي في (جامعة سينسيناتي) باوهايو بالولايات المتحدة الأمريكية ان هنالك علاقة بين احتواء حليب الأم على مستويات عالية من البروتينات التي تنتجها الخلايا الدهنية والمسؤولة عن تنظيم عمليات الأيض في الجسم والمعروفة باسم «اديبونكتين»(Adeponictin) وبين الإصابة بالسمنة. حيث تقوم الخلايا الدهنية بإفراز هذا النوع من البروتينات التي تؤثر على كيفية معالجة الجسم للمواد السكرية والدهنية في الدم. كما ان هنالك علاقة بين انخفاض مستوى هذا البروتين والاصابة بالسمنة المفرطة إضافة الى النوع الثاني من مرض السكري ومقاومة الأنسولين وأمراض الشرايين التاجية.

واكتشف الباحثون أيضا أن هنالك نوعا آخر من البروتينات في لبن الأم يسمى «ليبتين» (L-petin) يساعد أيضا في تنظيم الدهون في الجسم. ويشير الاختصاصيون إلى أن خطر الإصابة بالسمنة المفرطة يقل مع زيادة مدة الرضاعة الطبيعية، «فهنالك تأثير تراكمي، حيث انه كلما طالت مدة تناول حليب الأم كلما تحسنت حالة السمنة».

وفي دراسة طبية مثيرة وهامة أجريت في الولايات المتحدة وشملت 139681 امرأة انقطع عنهن الطمث، ونشرت في عدد شهر مايو 2009م في المجلة الطبية للنسائية والتوليد.. «Obstetrics & Gynecology» أن النساء اللواتي أرضعن أولادهن مدة شهر على الأقل يعانين من ضغط دم منخفض ونسبة كوليسترول أقل واحتمال الأصابة بالسكري بالإضافة إلى احتمالات الإصابة بالامراض القلبية والوعائية، مقارنة باللواتي لم يرضعن أطفالهن طبيعيا.

وقالت اليانور بيملا شفارتس من جامعة بيتسبرغ (بنسلفانيا) في الولايات المتحدة الأمريكية والمشرفة الرئيسة على الدراسة: «إن النساء اللواتي أرضعن أطفالهن لمدة سنة ينخفض احتمال إصابتهم بأمراض قلبية بنسبة 10% مشيرة إلى أنه كلما أرضعت الأم طفلها لفترة أطول كلما كان ذلك مفيدا لها وللطفل «وقالت أيضا: «إن هذه الدراسة تشكل سببا لتشجيع النساء على الرضاعة الطبيعية سواء كن في مؤسسات وأماكن العمل الأخرى.

الحليب البشري مقاوم للسرطان ولفيروس الإيدز:

أظهرت الأبحاث الأخيرة التي قام بها مجموعة من الأطباء بقيادة البروفسور روجر كارلسون من جامعة

كوثنبيرك ونشرت على موقع في الشبكة العنكبوتية في 20 أبريل 2010 عن اكتشاف مركب بروتيني في الحليب البشري بأسم (هامليت) HAMLET وذلك اختصارا للعبارة التالية..

(Human Alpha-Lactalbomin Made Leathal to Tumor) وترجمته (المركب البشري ألفا لاكت البومين القاتل للسرطان) حيث يمكن استعماله كعلاج للسرطان، وقد أثبت أنه يقتل أكثر من أربعين نوعا من الخلايا السرطانية عندما جرب ذلك مختبريا وكذلك عندما استعمل سريريا لعلاج سرطان المثانة بحقن المركب المذكور في الورم فقد تقلص حجم الورم بصورة ملحوظة بعد خمسة أيام من استعماله وأضاف البروفسور كارلسون ان مركب (هامليت) له قابلية للقضاء على الخلايا السرطانية الأولية وبذورها..

(Power Plant of Cancer Cells)

وهذا يفسر وحسب قوله قلة إصابة الأشخاص الذين تغذوا أثناء طفولتهم بالحليب البشري (رضاعة الثدي) بالأورام والسرطان مقارنة بالذين تغذوا بالرضاعة الصناعية البقرية (رضاعة القنينة) حيث ان الرضاعة البشرية فضلا عن كونها ترفع المناعة وتقوي الجهاز المناعي فإنها بإحتوائها على هذا المركب تقضي على بذور السرطان وتمنع حدوثه مستقبلا!. وقد اكتشف هذا المركب العجيب المقاوم للسرطان في الحليب البشري عن طريق الصدفة في بحث كان يجرى اصلا لمعرفة فوائده كمضاد حيوي! وخلص الفريق الطبي بالاستنتاج انه بالإمكان استعمال هذا المركب كعلاج للسرطان

مستقبلا وايضا كداعم وعامل مساعد للعلاج الكيمياوي لهذه الحالات.

وفي بحث طبي آخر نشر في عام 2002 بعنوان (حليب الثدي يمنع حدوث مرض الإيدز) أثبت فريق طبي بقيادة الدكتور ستيفان سباج من كلية طب جامعة الاباما في بيرمنكهام بأمريكا ان حليب الأم يحتوي على خلايا مناعية متخصصة من نوع (CD8+T cells) تقضي على فيروس الإيدز في الحليب البشري في حالة كون الام مصابة او حاملة لهذا المرض (متلازمة نقص المناعة المكتسبة-الإيدز). إضافة إلى ان هذه الخلايا تعطي للطفل حديث الولادة مناعة من الاصابة بهذا الفيروس موضعيا عن طريق التقليل من نسبة وجود هذا الفيروس في الحليب الذي قد يحتوي عليه. وبذلك تقلل نسبة انتقال وإصابة الطفل الرضيع من امه الحاملة للمرض المذكور.

ان هذا البحث الهام يضع النقاط على الحروف بخصوص الجدل الحاصل بين أطراف طبية متعددة ومنذ أمد بعيد بالسماح او عدم السماح للام المرضعة الحاملة لفيروس الايدز من إرضاع طفلها او عدمه (خشية انتقال المرض عن طريق حليب الام ولو كان هذا الاحتمال قليلا). حيث كانت وصية منظمة الصحة العالمية (Who) ان تقوم الامهات الحاملات او المصابات بالإيدز في الدول النامية (الفقيرة) بالإرضاع وذلك لمخاطر الرضاعة الصناعية في شعوب هذه الدول. اما في الدول المتقدمة فيفضل عدم الإرضاع واستعمال الحليب الصناعي (رضاعة القنينة) خشية العدوى وانتقال المرض! فالخلاصة ان الرضاعة الامومية هي الأمثل في كافة الاحوال والبلدان.

وفي الختام: فإن هذا غيض من فيض من فوائد الرضاعة البشرية بالنسبة للطفل والام على حد سواء، والذي سينعكس إيجاباً على الأسرة والمجتمع وبالتالي على الأمة بأسرها. لأن الرضاعة البشرية (الطبيعية) هي الأساس في تكوين وبناء الطفل عضويا وعقليا ونفسيا كالأساس في البناء! وفي حالة الإلتزام بالرضاعة البشرية والإعراض عن الرضاعة الصناعية (البقرية المنشأ) فسنضمن بعون الله تعالى تكوين جيل قويم صحيح البنية والنفس والأخلاق يشعر بالانتماء والإخلاص لأسرته ومجتمعه وامته.

وإننا على يقين أن الطب سيكتشف الجديد من هذه الفوائد مستقبلا كلما تقدمت وسائل المعرفة والتقنيات في هذا المجال. وقد أكدت التعاليم الإسلامية على أهميتها ووجوب الإلتزام بها.

إننا نوصي بأن تقوم المؤسسات الصحية في البلاد العربية والإسلامية بحملات وطنية لتشجيع الرضاعة البشرية وبالتعاون مع كافة المؤسسات الرسمية وغير الرسمية من جمعيات المجتمع المدني ووسائل الإعلام المختلفة وعلى كافة المستويات لتوعية المجتمع بصورة عامة والامهات واولياء الامور بصورة خاصة حول أهمية الموضوع وخطورة الاعتماد على الرضاعة الصناعية (رضاعة القنينة باستعمال خلائط الرضع البقرية المنشأ) COWS MILK FORMULAS. وصولا لتحقيق المعدلات والنسب المطلوبة لممارسة الرضاعة الطبيعية عن طريق الرضاعة الامومية وإن تعذر ذلك لسبب لا نملك علاجه فإنه يمكن الاستفادة من الرضاعة البشرية أي الرضاعة من حليب المرضعات لقوله عزوجل: ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾ - الطلاق (6).

والله يقول ﴿الْحَقّ وَهُوَ يَهْدِي السّبِيلَ﴾ والحمد لله رب العالمين.

أهم المصادر والمراجع:

- محمد جميل الحبال و وميض العمري: الطب في القرآن، الطبعة الثانية 2004م، دار النفائس، بيروت.
- محمد جميل الحبال: العلوم المعاصرة في خدمة الداعية الاسلامي، مكتبة دار المنهاج القويم – دمشق (2006).
- محمد جميل الحبال، (الرضاعة المحرِّمة) مجلة الاعجاز العلمي، ص 5 – 10، العدد 18 جمادى الاولى 1425 هـ.
- مجـاهد محمـد ابو المجد، (حكمـة تـحديـد مـدة الـرضاعة بحولين كاملين من منظور علمي)، مجلة الاعجاز العلمي، ص 7 – 9، العدد 4 محرم 1420 هـ.
- محمد علي البار، (انحسار الرضاعة خسارة مناعية)، مجلة الاعجاز العلمي، ص 22-25، العدد 10، رجب – 1422 هـ.
- ناصر احمد سنا، (تاملات اسلامية في الرضاعة الطبيعية)، موسوعة الاعجاز العلمي في القران والسنة، www.55a.net.

- Jelliffee, D.B. and Jelliffe, E.F.P. (1978). Human Milk in the Modern World. Psyuchosocial, Nutritional and Economic Significeance. Oxford University Press.
- Falconer, I.R. (ed.) (1971). Lactation. Butterworths, London.
- Fomon, S.J.(1974). Infant Nutrition (2nd Ed.) W.B. Saunders, Philadelphia.
- Mark D. Cregan, et.al., Identification of nestin-positive putative mammary stem cells in
- human breastmilk, Cell Tissue Research (2007): 329:129-136.
- K.M Jackson and A.M. Nazar, Breastfeeding, the Immune Response and Long-term Helth (Review Article),JAOA. (2003): 106,4:203-207
- Roger Karlsson -Breast milk kills cancer cells - Journal Public Library of science one -
- published 2010-06-18
- Steffanie Sabbaj- et al: Human Immunodeficiency Virus- specific CD8+ T cells in human breast milk. Journal Virology 2002,76:7365-7373

الصوم في عيون الغرب؛ ونفحاته الصحية والنفسية والتربوية

د.هدى صباح

ـ ما الذي دفع علماء الغرب من غير المسلمين للبحث في أسرار الصوم ؟
ـ وهل توصلت نتائجهم إلى مفتاح السر وراء دعواهم واهتمامهم بإنشاء مراكز طبية للعلاج بالصوم ؟
ـ وهل أضافت نتائج أبحاثهم دلالة جديدة للإعجاز العلمي بتشريع الصوم ؟
ـ وما فوائد الصيام الصحية والتربوية.
ـ ما يحل شهر رجب الحرام حتى ننشط لاستقبال الضيف الكريم شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدىً للناس ورحمه. نستقبله بعيون ملؤها الفرحة والحنين.
ـ ويا ترى كيف ينظر أطفالنا لرمضان، وكيف يتطور فهمهم وإدراكهم لهذا الشهر الفضيل ؟

أستهل بحثي هذا للاستزادة بكل ما خلصت اليه نتائج الأبحاث والدراسات التي عكف عليها علماء كثر من غير المسلمين عن فضل شهر رمضان،

وللإجابة عن الأسئلة السابق ذكرها دَعُونا نستطلع أولاً أهم المستجدات الطبية والاجتماعية في عالمنا المعاصر، حيث أكدت نتائج آخر الدراسات لباحثين أمريكيين وإيطاليين على أهمية الصوم كعلاج شافٍ وواقٍ لكثير من الأمراض مثل:

مكافحة مرض السرطان والوقاية منه:

يزيد الصيام من كفاءة الخلايا، ويمنع تحولها إلى خلايا سرطانية، بل ويوقف انقسام الخلايا السرطانية، وبالتالي يَحُول دون انتشار هذا المرض الخبيث.

وللصيام دور هام في انخفاض معدلات الإصابة ببعض الأورام الليمفاوية، كما أشارت نتائج الأبحاث إلى أن انخفاض السعرات الحرارية بفعل الصيام يزيد من كثافة الخلايا العصبية الدماغية، الأمر الذي قد يعالج بعض الأمراض المتعلقة بالأوعية الدموية كالزهايمر والشلل الرعاش كما يعمل الصوم على تنقية الدم من السموم والنفايات، ويحسن من الدورية الدموية، ويعزز كذلك من نشاط الخلايا وعمليات الترميم والبناء.

جهازك الهضمي مع الصوم:

أكدت نتائج الدراسات على أهمية الصيام بحالتيه المتقطع وصيام رمضان في إراحة الكبد وإعطائه الفرصة لتجديد خلاياه مما يكون له مردود إيجابي في تحسين حالة الكبد الدهني كما يحول دون تحول إصابات النسيج الكبدي والقابلة للتحول مع الزمن إلى أورام خبيثة.

ويعتبر الصيام من أفضل الوسائل لإعادة برمجة خلايا البنكرياس وتصحيح مسار عملها بالتقليل من إفراز هرمون الإنسولين مما يساعد في تنظيم سكر الدم وبالتالي حماية الجسم من خطر الإصابة بداء السكري.

ومن أهم ما خلصت إليه نتائج أبحاثهم أنه مع انخفاض نشاط الجهاز الهضمي أثناء الصيام ينخفض إفراز المواد الحامضة، وتهدأ حركة المعدة والأمعاء مما يقلل من احتمالية الإصابة بسرطانات الأمعاء واضطرابات الجهاز الهضمي، كما أن الصيام يحمي الجسم من متاعب المرارة، واحتمال تكون الحصوات، مما يساعد على القضاء على أمراض عسر الهضم الذي يؤدي إلى الانتفاخ ومتاعب القولون.

جهاز المناعة أكثر مناعة:

أكدت آخر الدراسات السريرية بأن الاستقرار النفسي لدى الصائم يؤدي إلى زيادة نسبة الأجسام المناعية وتفعيل نشاط الخلايا القاتلة المعروفة بالماكروفاج، وهي الخلايا التي لها القدرة على الحد من انتشار الخلايا السرطانية، بل وقتلها، وكذلك التهام البكتريا والفيروسات التي تهاجم الجسم، كما يحرض الصوم خلايا الجسد ويجعلها تعمل بكفاءة أعلى، وبالتالي تزداد مقاومة الجسم للأمراض، وتتحسن كفاءة النظام المناعي لممارسة مهامه بشكل أفضل لتبدأ خلايا الجسم في التخلص من السموم المتراكمة طوال العام ومن ثم ترتفع مقاومة الجسم لكثير من الأمراض الجلدية وخاصة الميكروبية منها.

كما تقل الأمراض الالتهابية والحادة من الجلد وغيرها وجدير بالذكر أن نقص الماء في الجسم وبالتالي في الجلد بفعل الصيام وخلو المعدة من الطعام خلال فترة الصيام، يحرض الكبد لتخليص الجسم من الدهون، والشحوم المتراكمة فتتحسن حالات البشرة الدهنية، والدمامل، والبثور، وقشور الرأس.

كما تقل حدة كثير من الأمراض، مثل الأكزيما الحادة والالتهابات الجلدية بشرط الإقلال من الملح في الطعام حتى تتحقق الفائدة، كما أن الاستقرار والهدوء النفسي الذي يحدثه الصيام في نفوسنا يخفف من حدة الأمراض الجلدية المتعلقة بالتوتر والعصبية.

الصيام يجدد الشباب:

لا تقتصر فوائد الصوم على محاربة الأمراض المزمنة كارتفاع ضغط الدم والسكري وأمراض القلب والشرايين بل تتعدى ذلك إلى إبطاء زحف الشيخوخة على خلايا الدماغ حيث أكدت نتائج الدراسات على أهمية الصوم في تأخير هرم الخلايا الدماغية ومساهمته في إبطاء نشوء مرض الزهايمر، فالصوم أفضل طريقة للحصول على جسم صحيح ومعافٍ وفي السياق نفسه خلصت نتائج الأبحاث أن للصيام فوائد عديدة لا بد أن ننتهزها لنتخلص من الوزن الزائد والكوليسترول والترسيبات الدهنية علي الكبد، وقد وجد الباحثون أن الإقلال من السعرات الحرارية اليومية في الطعام يساعد علي التخلص من الدهون الزائدة في الجسم مما يساعد علي إنقاص الوزن.

الصيام دواء ناجح لكثير من الاضطرابات النفسية:

للصيام قدرة فائقة على علاج الاضطرابات النفسية، مثل: القلق والاكتئاب والإحباط والهلع ومرض الشيزوفرينيا المعروف بالفصام بسبب انتظام عمل الجهاز العصبي اللاإرادي ومنظومة الغدد في الجسم، كما يساعد في تنظيم عملية إفراز هرمون الأدرينالين في الجسم مما يخفف من حدة تأثيره على مرض الاضطرابات النفسية، كما تصف دراسات منظمة الصحة العالمية الصوم بأنه الزر الآمن لإعادة ضبط آليات تنظيم الجسم والتخلص من إدمان العادات السيئة، مثل: التدخين والإفراط في تناول الطعام والتدريب على الاستخدام الأمثل للإرادة وتقوية العزيمة، وأصبح الصوم أحد أهم وسائل العلاج في العقد الحالي، وكثير من المراكز الطبية فى الخارج اعتمدت الصوم علاجاً لكثير من الحالات المستعصية، مثل: الروماتيزم وضغط الدم والصداع المزمن وأمراض الدورة الدموية الطرفية، علاوة على الكثير من الأمراض السرطانية وأمراض الشيخوخة والاضطرابات النفسية، وإذا استخلصنا فوائد الصوم من الناحية العملية لدينا نحن المسلمين نجد فوائده تتجلى في المجالات التالية:

فوائد نفسية :

1 - تهذيب للنفس وتقوية الإرادة والعزيمة مع زيادة القدرة على ضبط الشهوات .

2 -التحكم في السلوك مع الشعور بالمسؤولية علاوة على تقوية الحس الداخلي وتنمية الضمير. (وإذا خاصمك أحد فقل إني صائم!)

3 -التحلي بالصبر الذي يتجلى في مجاهدة النفس في كافة الاتجاهات.

4 -تنمية الدوافع الإيمانية والأخوية مثل: الرحمة وحب الفقراء.

5 -الشعور بالاطمئنان والراحة النفسية والقدرة على مواجهة الاضطرابات النفسية.

فما أحوجنا في هذا العصر المملوء بالإحباطات والنفاق وعدم الصدق أن نجد العلاج الفعال لمواجهة هذه المخاطر!

فوائد تربوية :

قال الله سبحانه عن الشهر الفضيل ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ - (البقرة: 185)، وهو مدرسة التربية الإيمانية لكل المؤمنين كبارهم وصغارهم مصداقًا لقول الرحمن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: 183)

فلنجعل من هذا الشهر المبارك مدرسة تربوية زاخرة بالدروس لتقويم سلوكيات أبنائنا والارتقاء بها، ومن خلال هذا الشهر ونفحاته المباركات نحبب إليهم الصلاة والقرآن والصيام وغيرها من العبادات الأخرى، فرمضان أشبه ما يكون بمستودع مملوء بالإيمان والخشوع، والناس يغترفون منه زادًا لعامهم كله، فمنهم من أخذ حظه وافيًا منه، ومنهم من رأى الناس يغترفون

وهـو لا يزيد على أن ينظر إليهم... لذا يجب على الوالدين اغتنام هذه الفرصة العظيمة في تهيئة الجو المحيط بصغارهم، وتهيئتهم نفسيًّا للجو الرمضاني من صيام وصلاة وعبادة لتقوية وزرع الثقة في أنفسهم والاعتماد عليها، وتفاعلهم بشكل إيجابي مع هذا الشهر الكريم.

كيف نبني بيئة رمضانية؟

يـجـب عـلـى الوالدين وكبار الأسرة اجـتـراح مـواقـف أسـريـة تسـاعـد الصغار على الفاعل مع الشهر ومعانيه الكبيرة وبدون تكلف مثل:

- إظهار الفرحة والابتهاج بقدوم الشهر الفضيل بمشاركة الصغار
- اكتشاف وتنمية الطاقات الإبداعية التي لا نُعيرها اهتمامًا في غمرة العملية التعليمية ومشاغل الحياة، وتعويد الطفل الاعتماد على نفسه في صناعة بعض الأشياء البسيطة، فيمكن ببساطة ان نطلب من الصغار قص ولصق صور للمساجد
- التحدث معهم بعبارات مناسبة لمرحلتهم السنية حول أهمية الشهر الفضيل وأنه فرصة للتقرب إلى الله
- واكتساب سلوكيات قويمة تستمر معهم مدى الحياة لأن الصيام لا يصلح بدون الخلق الحسن.
- الوعد بحوافز ومكافآت لمن يصوم ويقوم الشهر كاملاً مع الوالدين.
- تحفيز الطفل على البحث عن فضائل الشهر الكريم بعقد مسابقة بسيطة لتشجيع الطفل على البحث بنفسه والتعرف على فضل شهر رمضان.
- سـرد القصص والحكايات المفيدة لتوصيل إيحاء إيجابي للطفل حول الصيام.
- مساعدتهم على تصميم جدول للأعمال اليومية المطلوبة من مذاكرة وأداء الواجبات وفقًا للمواعيد الجديدة في رمضان على أن يتضمن الجدول بعض الأوقات للبنات خاصة لمساعدة الأم في بعض الأعمال المنزلية وملابسهم وكتبهم حتى تستطيع هي أيضًا الاستفادة من شهر رمضان.
- تشجيعهم على ترتيب غرفهم.
- تعليم البنات القريبات من سن البلوغ فقه الصيام.

واجبات الآباء في شهر رمضان:

تكوين ذاكرة إيجابية لدى الأطفال حول هذا الشهر الكريم، فتعامل الأب والأم مع الطفل أثناء الصيام بشيء من الغلظة والعصبية مع التحجج بالصيام هو ذاكرة سلبية لرمضان تخزن لدى الطفل، وتؤثر في اتجاهاته وسلوكه نحو هذا الشهر العظيم؛ لذا يجب على الوالدين تكوين ذاكرة سعيدة ومبهجة لصغارهم نحو هذا الشهر الفضيل.

- وبالنسبة لمشكلة التلفاز في رمضان يُقترح أن يعقد الوالدان اجتماعًا عائليًّا يحددون فيه وزيرًا للإعلام

داخل الأسرة من أبنائهم، ويقومون متعاونين بتحديد البرامج المفيدة والنافعة التي يمكن مشاهدتها أثناء الشهر الكريم.

- عدم وَضْع الحلويات والطعام المفضَّل للطفل أمامه قبل الإفطار حتى لا تَضعُف عزيمته.

- إشاعة نوع من البهجة والسرور وقت الإفطار والسحور؛ ليشعر الطفل بتميُّز هذا الشهر عن باقي الشهور.

الصيام يُقوِّم سلوك الطفل ويَضبط انفعالاته:

أثبَتَت العديد من البُحُوث الاجتماعيَّة الفوائد التربويَّة التي يَجنيها الطفل الصائم، ومنها:

1 - تهذيب النفس وتنمية الأحاسيس، وإيقاظ المشاعر مع عوامل ضَبْط النفس على القِيَم السلوكية والعادات الحسَنة التي تسمو بنفس الإنسان وترتقي به.

2 - المشاركة الانفعاليَّة والعاطفيَّة، ودَفْع الطفل للإحساس بالآخرين نتيجة الأجواء الإجتماعيَّة المرافقة لرمضان مع أسرته ومجتمعه.

3 - تنمية قوة الإرادة عند الأطفال من تصميمهم على الاستيقاظ وقت السَّحور لتناوله مع الكبار استعدادًا للصيام، وتَزداد فرحتهم باصطحابهم إلى المسجد لصلاة الفجر.

4 - تعويد الطفل على الصبر والجَلَد والتحمُّل، بالإضافة إلى ما يُجَسِّده الصيام في نفس الطفل من صِدْق الإخلاص لله عزَّ وجلَّ بالبُعد عن الكذب والخداع.

كيف يصوم الطفل:

الصيام بالنسبة للطفل حسب قدرته على تحمله، والأمر متروك للوالدين حسب تقديرهما لقدرة طفلهما، ويعتبر الصيام فرضًا على الأطفال إذا وصلوا سن البلوغ، أما قبل ذلك فإن في الأمر سعة ولله الحمد.

- أطفالنا والتغذية في رمضان:

تغذية الطفل في رمضان لا تختلف كثيرًا عن باقي أيام السنة إلا أنها تحتاج لتنظيم أكثر لقلة عدد الوجبات وتقارب أوقاتها من بعضها البعض ولتكون تغذيته صحية وسليمة لا تختلف عن تغذيته في الأيام العادية ولا بد من كلٍّ أم الانتباه إلى عدّة أمور وتعليمات في تغذية طفلها خلال شهر رمضان المبارك، منها:

- تعجيل الإفطار بتناول بعض الرطب أو التمر أو الماء أو

عصير الفاكه، ويجب ألاّ يعجل الطفل بشرب الماء المثلج مباشرة ساعة الإفطار؛ لأن ذلك يربك الجهاز الهضمي، ويتسبب في حدوث عسر في الهضم.

- يفضل البدء بتناول السوائل الدافئة مثل الشوربة لتنبيه المعدة وتهيئها لاستقبال الطعام.

- يجب أن يكون الإفطار متوازنًا وبكميات كافية، وأن يحصل الطفل على السعرات الحرارية اللازمة له، وينصح باحتواء وجبة الإفطار على الحليب ومشتقاته، والبروتينات كاللحوم والدواجن التي تساعد على بناء الأنسجة الجديدة وتعويض الفاقد منها، إلى جانب الخضراوات والفاكهة والنشويات كالخبز والأرز والمكرونة، وقليل جدًا من الدهون.

- ينصح بتناول الألبان في وجبتي الفطور والسحور؛ لاحتوائها على نسبة عالية من البروتينات والدهون والسوائل التي تفي باحتياجات الطفل، كما أنها غذاء كامل وتغطي فترة كبيرة من فترات الصيام على أن تخلو وجبة السحور من المخللات والأطعمة المالحة؛ لأنها تسبِّب العطش في اليوم التالي.

- يفضل تناول كميات قليلة ومتكررة من السوائل وبخاصة عصائر الفاكهة مع الماء لتعويض الحرمان منها طوال اليوم بعد وجبة الإفطار وخلال وجبة السحور وإن كان لا بد من تناول حلويات رمضان فيفضل تناولها بعد وجبة الإفطار، وليس في السحور حتى لا تسبِّب العطش للطفل في اليوم التالي.

- مراقبة الطفل خلال صومه، فإذا شعر الطفل بإرهاق واضح أو مرض وعدم تحمُّل الصيام، فيجب أن ينصحه ولي أمره بالإفطار.. وحتى منع الطفل من الصيام في حال إصابته بأي مرض يتسبب الصيام في ضرره وخاصة أمراض الكلى لاحتياج الطفل الدائم للسوائل وكذلك مرض السكري والأنيميا وغيرها من الأمراض.

- تخفيف المجهود البدني الذي يبذله الطفل في فترة الصيام، خصوصًا في أوقات الظهيرة وارتفاع درجات الحرارة، أما المجهود الذهني فمسموح به؛ ولذلك فالمذاكرة غير مجهدة، ويمكن للأطفال المذاكرة خاصة في وقت ما قبل الإفطار.

سلبياتنا في رمضان:

في غمار فرحتنا بحلول هذا الشهر الفضيل نجد من يتهاون في حقه ويخسر فضله بسبب بعض السلبيات التي تفقدهم لذة راحة القلب، وسمو الروح في زمان طغت عليه المادة والشواغل الدنيوية

كثير من نساء اليوم يعتكفن في مطابخهن لساعات طويلة في التفنن في المأكولات واعداد الحلويات، والمرأة مشكورة لقيامها على الصائمين ولكن يمكنها اختصار الوقت في مطبخها وأيضا يمكنها شراء مستلزمات العيد من ملابس وغيره قبل رمضان، وكذلك تنظيف المنزل وغيره من الأعمال التي اعتاد الناس القيام بها قبل الأعياد، حتى لا تستنفد هذه الأشياء أوقاتنا في العشر الأواخر من رمضان، والتي ينبغي أن نتفرغ فيها أكثر للعبادة.

- استقبال هذا الشهر العظيم بكثرة الطعام والتي تخالف هدي النبي صلى الله عليه وسلم بجعل ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس،

- السهرات الليلية أمام التلفاز لمشاهدة الكم الضخم من المسلسلات التي أعدت خصيصًا لشهر رمضان، مما يشغل الصائم عن صلاته وقراءته للقرآن والدعاء، ويتضاعف في الشهر الكريم العرض والطلب في السوق

- تتضاعف الوجبات التي تقدم في البيت مقارنة مع غير رمضان وهو ما ينافي الحكمة من صيام الشهر الكريم، ومن السلوكيات السلبية أيضًا في شهر رمضان الكريم كثرة الخمول والكسل والنوم الذي يصل عند البعض إلى حد إدمان النوم، وهذا فيه إهدار للوقت الذي يجب أن يُستخدم في طاعة الله عز وجل ويؤدي بدوره الى الإهمال في العمل الوظيفي والتأخر عنه والخروج قبل وقته بحجة التعب.

رمضان في عيون أطفالنا:

- هل يخاف أطفالنا من شهر رمضان؟
- هل يفرحون بهذا الشهر؟

يا ترى ما هي صورة رمضان في عيون أطفالنا؟ وهل يرونه بعين الخوف بسبب ما يلاقونه من عصبية وقسوة المعاملة بحجة الصيام؟ فها هي الأم لا تطيق صبرًا على أسئلة أطفالها، وكذلك الأب في حالة تذمر معظم الوقت بحجة الصيام. أم ان اطفالنا يرون رمضان بعيون تملؤها البهجة ولهفة المشتاق لاستقبال الشهر الفضيل؛ لذا فإن الصيام وأيامه المباركة عند الصغار لما تقدم فإن واجب الأسرة زرع محبة من خلال ذاكرة سعيدة وإيجابية لصغارهم وسلوك هادئ من قبل الكبار. إن رمضان ومعانيه هو ميراث ننقله لأبنائنا، فإذا لم نحسن نقل هذا الميراث المعنوي والتراثي و الاجتماعي العظيم تزداد مفاهيم رمضان تشويشًا في أذهان أطفالنا.

إن الشهر العظيم يحتاج إلى استعداد إيماني خاص لا يقتصر على الكبار فقط بل يمتد إلى الأطفال، وبوجودهم يعم الفرح، وببراءتهم يصبح الكون أجمل، لذلك فإن مشاركتهم في كل الأمور والمناسبات تضفي طعمًا ورونقًا خاصًا، فكيف إذا كانوا يَعدون الأيام لاستقبال شهر رمضان المبارك، فلا بد من مشاركتهم بهذه المناسبة العظيمة واستعدادهم الرائع لها، ومن الجميل في رمضان أن نصل ما انقطع من أرحامنا وأقاربنا وأصدقائنا، ونصلح ذات بيننا، وننقي النفوس والقلوب لتتهيأ لتذوق حلاوة العبادة في هذا الشهر.. وكل عام وأنتم بخير.

أهم المصادر والمراجع:

المراجع العربية

ـ كتاب رمضان الأخير / المؤلف: أ.د. راغب السرجاني / الطبعة الأولى / الناشر / دار أقلام للنشر والتوزيع والترجمة، ط 1.

ـ كتاب أحكام الصيام وفلسفته في ضوء القرآن والسنة / تأليف: الشيخ مصطفى السباعي / طبعة المكتب الإسلامي / الطبعة الثالثة.

ـ كتاب دليل الآباء في تعليم الدين للأبناء / للدكتور ربيع الزواوي / دار النشر: دار الفاروق / الطبعة الأولى.

ـ كتاب نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان / المؤلف: سيد حسين العفاني / حالة الفهرسة: مفهرس بالكامل / الناشر: دار ماجد العسيري / الطبعة الثالثة.

http://www.ummah.com/forum/showthread.php?269345-Fasting-reported-to-be-a-successful-treatment-for-various-mental-disorders

http://www.cygnus-books.co.uk/magazine/2012/02/the-benefits-of-fasting/

http://www.zoominfo.com/p/Yuri-Nikolayev/37980184

https://www.healthy.net/Health/Article/fasting_alternatives/3538

http://www.economist.com/blogs/babbage/2012/02/fasting-and-cancer

http://www.fasting.com/solution.html

http://www.telegraph.co.uk/news/religion/10227756/How-the-end-of-Ramadan-is-marked-around-the-world.html

http://www.telegraph.co.uk/news/picturegalleries/worldnews/8674988/Muslims-around-the-world-celebrate-the-start-of-the-fasting-month-of-Ramadan.html

http://www.sciencedaily.com/releases/2010/08/100810082642.htm

http://www.dailymail.co.uk/news/article-/Channel--broadcast-daily-Muslim-prayer-Ramadan-month.html

الوقف النقدي ودوره في تمويل المشروعات الصغيرة

د. نادية محمد السعيد الدمياطي

يرتبط النهوض بالمشروعات الصغيرة للفقراء بالارتقاء من خلال البحث والتطوير والابتكار، والتطور التكنولوجي، والتحسين المستمر في المنتجات، ووجود قاعدة موارد بشرية تتمتع برقى وتعدد المهارات كما تتمتع بالإمكانات الفنية والتكنولوجية الضرورية، من ضمن عوامل أخرى فإذا أرادت هذه المشروعات أن تستمر لابد أن تكون قادرة على الاستفادة من تحرير الأسواق، والتقدم التكنولوجي، خصوصاً في مجال المعلومات، وتطبيقات التكنولوجيا الجديدة، وزيادة تعبئة عوامل الإنتاج.

ويجب أن تتحلى بالابتكار، في عصر جديد يشهد تطور نمط من أنشطة المشروعات عبر الحدود، بحركة الإستثمار الدولي والتجارة الدولية من جهة، والتحالفات الإستراتيجية التي تسعى إلى تطوير المنتجات، والإنتاج، والمصادر، والتسويق من جهة أخرى. ولكي تتمكن المشروعات الصغيرة. والفقراء من مواجهة تحديات اقتصاد المعرفة فلا بد من تشجيع التحديث والإبتكار والاستثمار. كما إن للحكومات دوراً هاماً ورئيسياً في تمويل البحث والتطوير، حتى تستطيع المشروعات الصغيرة أن تجني بشكل كامل مردود جهودها في هذا المجال.

ولعل من المستحسن ذكره في العصر الحديث والذي تتسارع فيه الحياة نحو التطور والابتكار أن نستفيد من الأنواع المستجدة في الأوقاف الخيرية مثل الوقف النقدي، فأصحاب المشروعات الصغيرة، يحتاجون إلى تمويل مشروعاتهم، وإذا تم لهم ذلك فإنهم يستطيعون الانطلاق في عالم التجارة والإنتاج والمشاركة في تنمية المجتمع.

ويمكن أن تقوم المؤسسات الخيرية بعملية الإقراض والتمويل عن طريق إنشاء صندوق خيري من أموال أوقاف النقود لتمويل وإقراض أصحاب المشروعات الصغيرة من الفقراء وفق آلية محددة وضمانات معينة بحيث تضمن التدفقات النقدية وبالتالي تساهم في النهوض بالمشروعات الصغيرة.

مشروعية الوقف النقدي:

لم ينقل لنا التاريخ أمثلة على وقف النقود في زمن رسول الله، ولا في زمن الخلافة الراشدة، وصدر الدولة الأموية، بالرغم من اتساع الوقف في هذه الفترة وانتشاره، فقد قال جابر بن عبدالله رضى الله عنه في شأن الصحابة: «فما أعلم أحداً كان له مال من المهاجرين والأنصار إلا حبس مالاً من ماله صدقة مؤبدة»[1]. حتى أدى هذا التوسع إلى قيام ديوان خاص بالأوقاف في زمن الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك[2]. وقد كانت أغلب هذه الأوقاف عقاراً، وبخاصة الأرض الزراعية.

ومع بداية القرن الثاني الهجري تطورت أوقاف النقود حسبما رواه البخاري عن الزهري حين سئل: «فيمن جعل ألف دينار في سبيل الله، ودفعها إلى غلام له تاجر يتجر بها، وجعل ربحه صدقة للمساكين والأقربين، هل للرجل أن يأكل من ربح تلك الألف شيئاً... قال: ليس له أن يأكل منها. (رواه البخاري الحديث رقم 4054) وكذلك السؤال الذي وجه إلى الإمام مالك «لو أن رجلاً حبس مائة دينار موقوفة، يسلفها الناس ويردونها على ذلك، جعلها حبساً، هل ترى فيها الزكاة؟ قال: نعم، أرى فيها الزكاة». ونقل الميموني عن الإمام أحمد» عن رجل وقف ألف درهم في سبيل الله. قال: إن كانت للمساكين فليس فيها شئ.

قيل: فإن وقفها في الكراع والسلاح؟

قال: هذه مسألة لبس واشتباه»[3].

أما عن مشروعية الوقف النقدي فهناك قولان: فأبوحنيفة، وأبو يوسف، والشافعية، والحنابلة لا يرون جواز وقف المنقول مطلقاً، والنقود هي أوقاف منقولة[4].

والقول الثاني يتلخص المذهب عند الحنفية والمالكية، ووجه مرجوح عند بعض الشافعية، ورواية مرجوحة عند بعض الحنابلة واختارها ابن تيمية، وهو مذهب الزهري وإليه مال البخاري فقد استقر المذهب عند الحنفية في حكم وقف المنقول على قول محمد بن الحسن، وهو جواز وقف المنقول المتعارف عليه، ولم يكن وقف النقود متعارفاً عليه زمن محمد بن الحسن، لذلك لم ينقل عنه القول بجوازه، لكن نقل القول بجوازه عن زفر، أو عن الأنصاري تلميذ زفر، لكن بعد أن أصبح هذا النوع من الوقف متعارفاً عليه في بعض البلدان، دخل في قول محمد المفتي به عند الحنفية ولم تعد هناك حاجة إلى تخصيص القول بجوازه على مذهب زفر أو الأنصاري[5].

وذكر المالكية أن في وقف المثلي كالطعام والنقد

تردداً، وأحد الترددين هو الجواز، إذا وقفت للقرض أو نحوه، وذكر الخرشي أن هذا هو المذهب. وذكر بعضهم أن التردد في غير النقود كالطعام، أما النقود فلا تردد فيها، فيجوز وقفها قطعاً، للسلف ونحوه. وهذا القول هو الذي يتفق مع ظاهر المدونة، ففي المدونة، في كتاب الزكاة: «لو أن رجلاً حبس مائة دينار موقوفة يسلفها الناس ويردونها، على ذلك جعلها حبساً، هل ترى فيها الزكاة؟ قال: نعم أرى فيها الزكاة»[6]. فإيجاب الزكاة فيها دليل على أن مالكاً يرى صحة هذا النوع من الوقف.

الترجيح حول مشروعية الوقف النقدي:

الصحيح الراجح – إن شاء الله – هو جواز وقف النقود، إذا كان وقفها بهدف الانتفاع منها وقيام بدلها مقامها، ويتأيد هذا الترجيح بأمرين:

الأول:- أن الذين منعوا وقف النقود لم يذكروا أي نص أو إجماع أو قياس صحيح من وقف النقود، ولم يستدلوا بأكثر من الدليل العقلي المتمثل في شرط التأبيد في الصيغة وشرط أن تكون العين مما يمكن الانتفاع بها مع بقائها.

الثاني:- إن الذين أجازوا وقف النقود تمسكوا بالأصل، وهو مشروعية الوقف بصفة عامة، وجواز المعاملات ما لم يرد دليل الحظر، ولا دليل على منع وقف النقود، بل إن دليل المصلحة يقتضي الجواز[7]، سواء في هذه مصلحة الواقفين الذين يرغبون في سلوك طريق البر هذا، أو مصلحة الموقوف عليهم، أو مصلحة المجتمع بصفة عامة، وقد ثبت في العصر الحديث أن القول بجواز وقف النقود يحقق مصالح شرعية كبرى، نظراً لما يمكن أن يؤدي إليه من إحياء لنظام الوقف في الإسلام، واستعادة دوره، ومساهمته في حل كثير من مشكلات المستفيدين ومنهم الفقراء.

كما أجاز مجمع الفقه الإسلامي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي في دورته الخامسة عشر بمسقط (سلطنة عمان) في 19-14 المحرم/ 1425 هـ، وقف النقود حيث جاء في ثانياً ما نصه:

1 - وقف النقود جائز شرعاً، لأن المقصد الشرعي من الوقف وهو حبس الأصل وتسبيل المنفعة متحقق فيها، ولأن النقود لا تتعين بالتعيين وإنما تقوم إبدالها مقامها.

2 - يجوز وقف النقود للقرض الحسن، وللاستثمار إما بطريق مباشر، أو بمشاركة عدد من الواقفين في صندوق واحد، أو عن طريق إصدار أسهم نقدية وقفية تشجيعاً على الوقوف، وتحقيقاً للمشاركة الجماعية فيه.

3 - إذا استثمر المال النقدي الموقوف في أعيان كأن يشتري الناظر به عقاراً أو يستصنع به مصنوعاً، فإن تلك الأصول والأعيان لا تكون وقفاً بعينها مكان النقد، بل يجوز بيعها لاستمرار الاستثمار، ويكون الوقف هو أصل المبلغ النقدي.

أنواع وقف النقود:

رغم أن وقف النقود كان مسألة مطروحة في الفقه الإسلامي منذ قرون عديدة، إلا أن ظاهرة وقف النقد لم تكن بهذا الشيوع. ولم يبلغ مجال الاستثمار فيها الحال الذي بلغه اليوم؛ بسبب تطور مجالات الاستثمار وأشكاله ومؤسساته وأساليب تنظيمية بفعل التطور الاقتصادي العام في العالم.

لقد كان وقف النقود موجوداً بشكل ضعيف في الأزمنة السابقة. وقد نقل البخاري سؤالاً وجه للزهري حول وقف ألف دينار في سبيل الله يتجر بها يكون ربحها صدقة للمساكين والأقربين. (وهو يكشف عن تداول الموضوع، وموافقة الزهري عليه، في أوائل القرن الثاني الهجري. كما ورد في المدونة الكبرى للإمام مالك الحكم بوجوب الزكاة على رجل حبس مائة دينار موقوفة يسلفها الناس ويردونها على ذلك الذي جعلها حبساً)[8].

لكن مع هذه الإشارات البسيطة كان الظهور الفاعل والقوي لوقف النقود في بدايات العصر العثماني، حيث

كان في بعض بلاد البلقان، ثم انتقل إلى استانبول بعد فتحها، ومنه إلى بلاد الشام، ثم تحول إلى قضية هامة في الدولة العثمانية، أثارت جدلاً ونقاشات واسعة على مستوى المذهب الحنفي خاصة.

ولكي تتضح أهمية وقف النقد ومجالاته – بصرف النظر عن مشروعيته – يمكن ذكر بعض أنواع الوقف النقدي التي باتت ممكنة أو واقعة اليوم[9] وهي:

1 – الوقف النقدي الاستثماري: ويقصد به وقف مبالغ مالية معينة، توضع تحت ولاية متولي الوقف أو عند مؤسسة مالية مكلفة بالمضاربة في هذه الأموال، فما نتج من أرباح عن طريق المضاربة هو الذي يتم توزيعه على مصارف الوقف المقصودة للواقف. ولا فرق في ذلك بين:

أ- أن تنتدب هيئة وقفية نفسها لاستقبال الصدقات الجارية النقدية لتمويل مشروع ما يعود ربحه للأغراض الوقفية، سواء كانت هذه الهيئة الوقفية حكومية أم شبه حكومية أم أهلية خاصة. وهنا يتحد الناظر على الوقف مع المستثمر له.

ب- أن يحدد الواقف نفسه الجهة التي تستثمر فيها النقود، كأن توضع الموقوفات وديعة استثمارية في بنك إسلامي معين أو وحدات في صندوق استثمار. وهنا يحدد الواقف ناظراً على الوقف، مهمته متابعة شؤونه مع البنك مثلاً، ثم أخذ أرباحه لتوزيعها على الجهات المعنية بالوقف. ومن الواضح هنا أن الواقف غير الناظر، وغير المستثمر أيضاً.

ج- أن يصار إلى جمع أموال وقفية بغية تحويلها إلى أعيان، كبناء مسجد أو مستشفى. وهذا الأخير مبنى على جعل هذه الصورة من وقف النقود استثماراً. ويكون ذلك مثل تأسيس مشروعات وقفية على الطريقة السودانية، أو صناديق وقفية على الطريقة الكويتية؛ بهدف استدراج التبرعات الوقفية لمشروع معين أو غير معين بمعنى غير مفرد الهدف. وبهذا يصبح لدينا صندوق مالي كبير يمكن من خلاله بناء المستشفيات أو المساجد أو المستوصفات أو المدارس أو الجامعات أو المعاهد والحوزات الدينية، كما يمكن أن يكون الوقف بإصدار أسهم نقدية وقفية؛ تشجيعاً على الوقف لتحقيق المشاركة الجماعية فيه.

2 – الوقف الإيرادي: ويقصد به وقف إيراد نقدي، دون وقف الأصل الذي ينشأ منه الإيراد المذكور، وله صور نذكر منها:

أ- وقف إيراد عين معمرة لفترة زمنية محددة، كأن يحبس شخص الايراد الإجمالي أو الصافي لعين ما، مثل: عقارات أو مطاعم أو فنادق أو منتزهات أو مدن ألعاب ترفيهية بريئة أو غير ذلك، لكي يجعل الإيراد وقفاً لجهات البر. ولهذه الحالة صور: فتارة يكون الوقف مؤبداً؛ وأخرى يحدد شهراً في السنة يجعل إيراده وقفاً، بناء على صحة ذلك.

ب- وقف حصة محسومة بنسبة مئوية من الإيرادات النقدية لصالح مؤسسة استثمارية وقفية.

3 – الوقف النقدي القرضي: ونقصد به أن توقف النقود لإقراضها لمن يحتاج إليها، على أن يعيدها حسب الاتفاق، ليعاد إقراضها من جديد لمحتاج آخر، دون أن يفرض وجود أي بعد استثماري أو عائد من هذا القرض، فراراً من إشكالية الربا أو غيره. وهذه هي بنوك التسليف في بعض الدول، حيث يقوم البنك بإقراض المحتاجين للزواج أو غيره، على أن يسددوها بأقساط خفيفة على دفعات كثيرة. ويمكن تسميتها ببنوك التسليف الوقفية. وهذا هو الوقف للسلف.

إلى غير ذلك من الصور التي اقترحت أو يمكن تصويرها، مثل: وقف احتياط الشركات المساهمة، وغير ذلك.

وهكذا يتحرك وقف النقد في مجال الاستثمار، كالقائم على البيوع والاستصناع، والمشاركة أو السلم، والمضاربة، والمرابحة، والإجارة، وكذا التورق، ليساهم في التنمية بأنواعها من خلال مشاريع استثمارية وخدمية. كما أن مجالات استثمار الوقف تطال الأسهم

وبيع العملات وصكوك المضاربة والتجارة وغير ذلك.

وليس هدفنا في هذا البحث تصحيح هذه الصور لوقف النقد من جميع الجهات، وإنما البحث في زاوية النقدية في الموقوف فيها.

مميزات الوقف النقدي:

1 - أنه يساهم في إنشاء الوقف المشترك أو الوقف الجماعي، حيث سيتمكن صغار المالكين – فضلاً عن المتوسطين والكبار – من المشاركة جميعاً في مشاريع وقفية واحدة من خلال المساهمة النسبية في رؤوس الأموال الوقفية. على خلاف الحالة الشائعة في الوقف العيني، حيث يقوم مالك خاص بوقف عقار ما من طرفه، دون أن يشاركه أحد في عملية الوقف هذه.

2 - أنه يراكم رؤوس الأموال، مما يمكن من إنشاء مشاريع وقفية كبرى هذه المرّة؛ لأن عنصر المشاركة في الوقف سوف يوفر رؤوس أموال أكبر، من خلال زيادة عدد الواقفين، الأمر الذي يسهل بطبيعة الحال القيام بمشاريع وقفية أكثر سعة وفعالية.

3 - أنه يفسح المجال في دخول الأوقاف مجالاً أوسع من الأنشطة الانتاجية؛ نظراً لقدرة النقد على النفوذ في مختلف أشكال الإنتاج والاستثمار.

4 - أنه يظل أسهل إنجازاً من غيره بالنسبة للواقفين؛ لوفرة النقد – في يد العدد الأكبر من الناس. على خلاف الحال في الأراضي والعقارات، فليس كل الناس يملكونها أو تتوفر في أيديهم.

الوقف النقدي
وصيغ تمويل المشروعات الصغيرة للفقراء

المشروعات أو الصناعات الصغيرة، وحدات صغيرة الحجم جداً تنتج وتوزع (او توزع فقط) سلعاً وخدمات وتتألف من منتجين مستقلين يعملون لحسابهم الخاص في المناطق الحضرية في البلدان النامية، وتتميز هذه المشروعات الصغيرة بالبرامج التالية:

1 - أنها مشروعات فردية يملكها ويديرها شخص واحد لحسابه.

2 - أنها تعمل في المناطق الحضرية والريفية.

3 - رأس مالها صغير جداً، ولم يوضع له حداً أقصى.

4 - تستخدم تقنية ذات مستوى منخفض.

5 - توفر فرص عمل قد تكون محدودة ولكنها مفيدة للفقراء.

6 - أغلبها بنتمي للقطاع غير الرسمي.

ويقودنا هذا التعريف إلى المسلمات التالية :

1 - إيجاد فرص عمل باستثمارات محدودة مما يساعد على التخفيف من مشكلة البطالة والفقر.

2 - عدم الحاجة إلى رأس مال كبير، والتمويل يكون محلياً في أغلب الأحيان.

3 - تعتمد على مستلزمات إنتاجية محلية مما لا يحتاج معه الأمر إلى عملة أجنبية تزيد من عجز ميزان المدفوعات للمشروع، فضلاً عن أنها تساهم في تحقيق الاكتفاء الذاتي من السلع والخدمات بدلاً من استيرادها من الخارج.

4 - استخدام تكنولوجيا تناسب الظروف المحلية ولا تحتاج استيراد تكنولوجيا عالية المستوى من الدول المتقدمة.

5 - إمكانية استغلال أي مساحة مما يقلل من انخفاض تكاليف

البنية الأساسية.

6 - المرونة في أعمالها وعملياتها ومنتجاتها والتي يمكن تعديلها حسب الظروف.

7 - توطين الصناعة في المناطق الريفية وفي الحضر مما يحقق الاستقرار الكافي والتوزيع المتوازن للسكان بين الريف والحضر.

8 - تغذية الصناعات الكبيرة ببعض المستلزمات اللازمة للإنتاج بتكلفة أقل مما لو تم إنتاجها في المصنع الكبير، او استيرادها من الخارج وللمشروعات الصغيرة فوائد اجتماعية واقتصادية تتوفر في الآتي:

زيادة القيمة المضافة للإنتاج الصناعي وخاصة بعد تطور البعض منها تكنولوجياً بحيث أصبحت تنتج سلعاً عالية الجودة.

سهولة تغيير خطواتها الانتاجية بحيث تكون أكثر استجابة للتغيرات في الأذواق كما تمتاز بأنها لا تحتاج إلى دراسات جدوى اقتصادية معقدة[10].

تسهم بشكل أساس في الحياة الاقتصادية سواء كانت منشآت مستقلة أو مقاول من الباطن أو منشآت تابعة ليس فقط لعددها وتنوعها ولكن لانتشارها في كل جوانب النشاط الاقتصادي في النهوض مشروعات الفقراء ولدورها المتكامل في دعم المصانع الكبيرة وبيئة صناعية خصبة وكمصدر للتحديث المطرد للصناعة والتجارة.

طبيعتها التنظيمية تعطيها صيغة الملكية الخاصة للفقراء مما يجعلها بالضرورة لا تستوجب وجود تعقيدات إدارية في تنظيمها وهو ما يدفعها للسعي لتحقيق النجاح والنمو والتطور من خلال الجدية في العمل وسرعة اتخاذ القرار بما يتجاوز مع متغيرات السوق وظروفه سواء من حيث كمية الإنتاج أو مواصفاته.

عدم الحاجة إلى مؤهلات عالية للعمل في هذه المشاريع.

محدودية رأس المال المستثمر وبساطة التكنولوجيا المستخدمة.

وتتدرج أنواع المشاريع الصغيرة للفقراء في ثلاث أنواع رئيسية:

أ-الأعمال الأولية والتي تشمل مختلف الأعمال الزراعية.

ب-الصناعات التحويلية، عند قيام المشروع باستخدام المواد الأولية أو أية قيمة مضافة باعتماد الآلات والمعدات التي لديه.

ج-مشروعات الخدمات والتي تساهم في تحسين الدخول المنخفضة.

وتتميز هذه المشاريع الصغيرة بالعديد من الخصائص لعل أهمها:

1 - انخفاض الطاقة الإنتاجية: فقد ساعد التطور التكنولوجي على إمكانية تجزئة العمليات الإنتاجية.

2 - الاعتماد على الخامات المحلية: تعتمد غالبية المشاريع الصغيرة على الخامات المحلية ومن ثم تقل الحاجة إلى الاستيراد وما لذلك من أثر إيجابي على الميزان التجاري.

3 - القدرة على الانتشار الجغرافي: وأثر ذلك على تخفيف الهجرة من الريف إلى الحضر.

4 - مراكز تدريب: تعتبر المشاريع الصغيرة مراكز لتدريب العاملين بها مما يؤهلهم للعمل في المشاريع الكبيرة.

الوقف النقدي

في مواقع متعددة مثل:

1 - تمويل بناء المساجد والزوايا والربط والمقابر

2 - توفير مرئيات العاملين في هذه المرافق، إضافة إلى تمويل الإنارة والتظافة والفرش والتجهيز والترميم.

3 - تمويل بناء المدارس والكتاتيب ودور العلم.

4 - تمويل نفقات حفر الآبار وتحسين حالة الآبار والعيون القائمة. ولنا أن نستذكر دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلى العتابة ببئر (رومة) وتعميم نفعها.

5 - تمويل بناء المشافي (البيمارستانات) وتمويل إنفاقها الجاري مثل: إعاشة المرضى وكسوتهم فضلاً عن معالجتهم والإنفاق على تمريضهم وإجراء رواتب المنشدين الذين يرفهون عنهم!!.

6 - تمويل القرض الحسن بوقف النقود فيما يمكن تسميته بـ(بنوك التسليف الوقفية) تفريجاً لكرب المحتاجين، وهو مقصد رغب الشارع فيه، وفي وقف النقود استجابة لتطور المجتمع المسلم.

7 - تمويل التسليف العيني فيما يمكن تسميته بـ(بنوك البذور) لمن لا يجدها من المزارعين وهي قضية أقرها الفقهاء والعلماء.

8 - تمويل بناء المياتم ودور العجزة والأرامل؛ فكافل اليتيم قرين النبي في الجنة والسعي على الأرملة والمسكين قربة من أبر القربات.

9 - تمويل بناء الربط وتجهيزها استجابة لأمر الله تعالى جهاداً بالمال وإعداداً للقوة، وقد عرف النبي لسيدنا خالد فضله في هذا السياق، ففي الحديث المتفق عليه: «وأما خالد فقد احتبس أدراعه وأعتاده في سبيل الله»، وقد رغب النبي (ص) في ربط الخيل وفي احتباسها في سبيل الله تحقيقاً للغرض ذاته[12].

والأوقاف النقدية في هذا العصر تهدف إلى إيجاد عوائد مناسبة من ريع استثمار الوقف، والمساهمة في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

إن ترجيح القول بجواز وقف النقود يحقق مصالح متعددة تتناسب مع مقاصد الشريعة من حيث:

ففيه التوسعة على الفقراء والمحتاجين سواء الواقفين أو الموقوف عليهم، فالواقف يبتغي جريان الصدقة والموقوف عليه يريد المنفعة وقضاء حوائجه.

إفساح لمجال الوقف وتيسيره على كل الناس، بحيث يصح الوقف النقدي صدقة يستطيع القيام بها ذوو الدخول الصغيرة، ومن مجموع هذا القليل يتراكم مال الوقف النقدي لتشتري به العقارات والمرافق والخدمات وتنجز به المشروعات.

وبالنظر إلى القطاع الوقفي، فإنه يلاحظ أن وقفيات المسلمين عبر العصور تركزت حول الممتلكات العقارية حيث تشير الدراسات أن العقارات استحوذت على 93% من مجموع الأموال الوقفية، وبالرغم من أهمية هذه الموقوفات إلا أن مقتضيات التنمية المعاصرة تتطلب تنويع الأصول الوقفية وتطوير صيغ جديدة، لتثميرها وتوظيفها، إن قيام أنماط جديدة من أساليب الاستثمار والأشكال المؤسسية في التنظيم الاقتصادي سوف تفتح أفاقاً جديدة أمام وقف النقود والاستفادة منه، كما أن قيام المؤسسات المالية والنظم المحاسبية الحديثة وكذا العلنية والتوثيق للبيانات المالية يجعل حفظ الوقف النقدي وإدارته ميسوراً، بل لعله أصبح أيسر من وقف العقارات[12].

وقد ظهرت الحاجة الماسة لمثل هذه المشاريع نظراً لأنها تركز على الوصول إلى خُمُس سكان العالم الذين يعدون أفقر سكان الأرض، وبالتالي فهم الأكثر احتياجاً. والمشروعات الصغيرة تعدُّ رافعة رئيسة للنمو وتشغيل قوة العمل وتقليص البطالة، وهذا ما يشكل واحدة من أهم آليات مكافحة الفقر وتقوية البنيان الاجتماعي. ولعلَّ التجربة التركية في مجال الأوقاف منذ بداية القرن الخامس عشر الميلادي تعزز رأينا في هذا الصدد، ففي

دراسة لـ1563 وقفاً نقدياً في مدينة بورصة التركية في الفترة 1897-1605م تبين أن هذه الأوقاف قامت بدور اجتماعي كبير بإقراض عدد من الفقراء مبالغ مالية لبدء مهنة أو شراء أدوات الإنتاج[14].

الموارد المالية للتمويل الوقفي:

تأتي الموارد المالية للتمويل الوقفي من أربع فئات هي:

أ-الواقفون مالاً على التأبيد وقد يكون المال الموقوف عقاراً يخصص ريعه لغرض الوقف أو للاستخدام المباشر من إدارة الوقف وقد يكون عينا استعمالية كسيارة أو شاحنة أو آلة تقدم للفقير في شكل منحة مؤقتة أو تؤجر له بأجرة زهيدة.

ب-الواقفون مالاً مؤقتاً: وهم الفئة المقرضة للوقف إذ يقدمون الوقف قرضاً حسناً، قد تكون هذه القروض مؤجلة لفترة محدودة وقد تكون تحت الطلب يمكنهم سحبها متى شاؤوا، ومن رصيد هذه الأموال الموقوفة على التأبيد والتوقيت يقدم التمويل للمشروعات الصغيرة للفقراء.

ج-كفلاء السيولة: إن تمويل المشروعات الصغيرة للفقراء باستخدام التمويل الوقفي قد يصطدم بمشكلة تواجه المصارف عادة وهي مشكلة السيولة، ولتذليل هذه العقبة تأتي الفئة الثالثة وهم كفلاء السيولة لمآزرة الوقف بدعم سيولته من خلال إلتزامها بإقراض الوقف عند الطلب مبلغاً معيناً لمدة محدودة، حيث يخصص ما يقدمه كفلاء السيولة حصراً لسد نقص السيولة الطارئ بسبب متطلبات السحب.

د-كفلاء التواء: «متبروعوا عجز السداد»: يعتبر ضمان الفقير من مجالات عمل الخير وعليه يمكن للواقفين وقفاً مؤقتاً أن يساهموا بتوفير الضمان اللازم لديون الفقراء التي يحصلون عليها لبدء مشاريعهم. والواقع العملي الحالي للمؤسسات المالية الدولية والتي باشرت عملية ضمان ديون الفقراء يثبت أن تسديد الفقراء لديونهم أفضل من تسديد عملاء البنك، وأن الدراسات أظهرت أن مستوى السداد لدى الفقراء المقترضين قد يصل إلى ما يزيد على 90% من إجمالي القروض المقدمة.

ورغم هذا فقد يعجز متلقي التمويل الوقفي عن السداد بسبب من الأسباب كالإعسار وعدم القدرة على السداد أو المماطلة أو بسبب خيانة، ومن أجل تعويض الوقف ما فقده جراء التواء، تقترح صيغة التمويل بالوقف وجود كفلاء التواء أو متبرعوا عجز السداد، حيث يلتزم كل منهم بالتبرع للوقف بمبلغ معين إذا هلك مبلغ التمويل كله أو بعضاً منه، فالكفيل أو المتبرع بتعويض 5% من أصل القرض ضاعت بسبب عدم السداد يحمي 100% من القروض يقدمها المقترضون للوقف مما يشجع وقف الواقفين واستمرار تدفق القرض الوقفي وبذلك استمرار الوقف وديمومته[15].

أهم المصادر والمراجع:

1. ابن تيمية (1988م)، الفتاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

2. ابن عابدين (1973م)، حاشية ابن عابدين، الجزء الرابع، دار الشروق للنشر، بيروت.

3. ابن قدامة (1415هـ)، المغني، الجزء الثامن، دار الفكر العربي، بيروت.

4. الخصاف (1977م)، أحكام الأوقاف، دار الفكر العربي، بيروت.

5. الخريشي، علي: حاشية العدوي، الجزء السابع، دار صادر للنشر ، بيروت.

6. خضر، إحسان (2013م)، تنمية المشاريع الصغيرة، إصدارات الجسر للتنمية، الكويت.

7. خليفة، حاجي (1423هـ)، كشف الظنون، مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.

8. الدردير (1975م)، الشرح الكبير بهامش حاشية الدسوقي، الجزء الرابع، دار الفكر العربي، بيروت.

9. دنيا، شوقي (1415هـ)، أثر الوقف في إنجاز التنمية الشاملة، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد 24.

10. الزرقا، محمد أ،س (1985م)، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، المملكة العربية السعودية.

11. العافي، أسامة عبد المجيد (2006م)، دور الوقف في تمويل التنمية البشرية، مجلة آفاق الثقافة، مركز جمعة الماجد، الإمارات العربية المتحدة.

12. عمر، محمد عبد الحليم (2004م)، الاستثمار في الوقف وفي غلاته وفي ريعه، أبحاث الدورة الخامسة عشرة، مجتمع الفقه الإسلامي الدولي، مسقط.

13. قحف، منذر (2000م)، الوقف الإسلامي، تطوره، إدارته، دار الفكر، دمشق.

14. الكندي (1982م)، تاريخ القضاة، دار الشروق للنشر، بيروت.

الدكتورة نادية كبير الباحثين في قسم الفحص والإنتاج بكلية التربية بجامعة الإسكندرية. أصدرت كتباً وأبحاث عديدة وتشارك في مؤتمرات علمية.

الحضارة الإسلامية

و عولمة الإعلام والثقافة

د. رضا عبد الواجد أمين

تعيش الأمة الإسلامية بما تمثله من حضارة عالمية عريقة عددا من التحديات التي تستوجب مواجهتها بما يتفق مع تاريخ وعظمة هذه الحضارة، ومن هذه التحديات ما يمكن تسميته ب(تحدي العولمة) في شقها الثقافي والإعلامي بدرجة هامة، وفي شقها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي بدرجة لا تقل أهمية، حيث تعني العولمة فيما تعنيه إلغاء الحدود والحواجز بين دول العالم أجمع، ليكون- كما تنبأ عالم الاتصال الكندي مارشال ماكلوهان في القرن الماضي- العالم قرية صغيرة، يعرف من في شرقه ما يحدث في غربه في التو واللحظة، وقد تحققت هذه النبوءة بشكل جلي في نهاية القرن الماضي من خلال حدثين هامين على الصعيد الإعلامي والثقافي، أولهما انتشار القنوات الفضائية وتطور التقنية التي تعمل بها، حيث أصبح بإمكان الملايين حول الكرة الأرضية متابعة حدث واحد في وقت حدوثه، وهو ما يعرف بالبث المباشر أو البث الحي، وثانيهما ظهور الشبكة العنكبوتية الدولية التي لم تقم فقط بإلغاء الحواجز والحدود، بل تخطت العوائق القانونية والجغرافية ليتشارك العالم في سلة كبيرة من المعلومات والبيانات التي منها ما هو نافع مفيد، ومنها ما هو غث يعمل على النيل من منظومة القيم لدى العديد من الثقافات، وينخر في جدار وجذور بعض الثقافات التي ترى في انتشار بعض المضامين – كالمضمون الإباحي على سبيل المثال – تحديا خطيرا تنبغي مواجهته بكافة السبل.

وهذه الورقة البحثية لا تبحث في مثل هذه التحديات الأخلاقية الشبكية والثقافية فقط بالنسبة للحضارة الإسلامية، لأن حضارة لها كل هذا التاريخ والحاضر المشرق لا يمكن أن تنكسر على صخرة المضمون غير اللائق في شبكة الإنترنت، مع التسليم الكامل بأن على أتباع هذه الحضارة أن يبذلوا جهودهم لمواجهة مثل تلك التحديات لكي يستحقوا الانتماء بشرف إلى تلك الحضارة التي حملت مشعل الهداية إلى العالمين، منذ اللحظة التي قرر الله تعالى أن يخرج الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الإيمان بمبعث خاتم البشر ـــ صلى الله عليه وسلم -.

وبالتالي فإن الورقة تميز بين نوعين رئيسيين من التحديات:

أولا: التحديات الثقافية، وهي تلك المتعلقة بالثقافة بمفهومها العام، وتأثيرات العولمة في شقها الثقافي على الثقافة الخاصة بالمجتمعات الإسلامية.

ثانيا: التحديات المتعلقة بالإعلام ووسائله في الدول الإسلامية، وما تثيره العولمة الإعلامية من إشكاليات، وأخيرا، تحاول الورقة وضع خطوط عريضة لاستيراتيجية كاملة يمكن أن تكون ناجعة في مواجهة هذه التحديات التي أفرزتها الفترة الزمنية التي نعيشها اليوم بسبب العديد من الدعاوى والأفكار الغربية، مستلهمة ملامحها الرئيسة من جوهر الحضارة الإسلامية التي سادت ملامحها العالم زهاء أربعة عشر قرنا من الزمان.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

1 - التعرف على ماهية العولمة وسماتها وخصائصها

2 - الكشف عن أبعاد ظاهرة العولمة في المجال الثقافي

3 - التعرف على مجمل التحديات التي تواجه أتباع حضارة الإسلام الناتجة عن ظهور فكرة العولمة التي تريد تنميط ثقافة العالم وفقا للنموذج الغربي، من خلال تحويل المنتج الثقافي إلى سلعة يمكن لكل شعوب العالم أن يستهلكونها كما يستهلكون الحاسوب أو السيارة، وهو ما يعرف بتسليع الثقافة.

4 - التعرف على إشكاليات العولمة الثقافية، وموقف الحضارة الإسلامية منها.

5 - الكشف عن أبعاد العولمة الإعلامية.

6 - التعرف على إشكاليات العولمة الإعلامية، وموقف الحضارة الإسلامية منها

7 - التعرف على طرق استفادة الحضارة الإسلامية من ظاهرة العولمة.

نوع الدراسة:

تنتمي هذه الدراسة إلى البحوث الوصفية التي تهدف إلى تصوير وتحليل وتقييم خصائص ظاهرة أو موقف معين تغلب عليه صفة التحديد، وينطبق ذلك في الدراسة على وصف وتحليل ظاهرة العولمة في شقها الثقافي والإعلامي، بهدف الحصول على معلومات كافية ودقيقة عن هذا الأمر.

منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة على منهج المسح الإعلامي، وهو أحد المناهج المستخدمة بكثرة في الدراسات الإعلامية، ويعتمد على مسح الأدبيات المتعلقة بموضوع الدراسة ونقدها، وتحليلها، ومن ثم استخلاص النتائج المترتبة عليها، كما تعتمد الدراسة على الملاحظة العلمية كأداة من أدوات جمع البيانات والمعلومات.

المبحث الأول: مفهوم العولمة

العولمة تعني إلغاء الحدود والحواجز:

قدم رونالد روبرتسون Ronald Robertson مفهوما للعولمة، وعرفها بأنها عملية لبلورة العالم في مكان واحد، وأن يفضي ذلك إلي ظهور حالة إنسانية عالمية[1]، وفي كتابه عن العولمة الذي وضعه في عام 1997 وترجم إلي العربية عام 1998 عرف العولمة بأنها تشير إلي ضغط العالم وتصغيره من ناحية، وتركيز الوعي به ككل من ناحية أخرى، وإذا كانت العمليات والأعمال التي يشير إليها المفهوم راهنا تنسحب إلي قرون خلت مع وجود بعض المعوقات فإن التركيز الأساسي في مناقشة العولمة يقع علي العصور الحديثة نسبيا، وحيث إن هذه المناقشات ترتبط ارتباطا وثيقا بمعالم الحداثة وطبيعتها فإن العولمة تشير بوضوح إلي التطورات التي حدثت مؤخراً[2].

وتعريف روبرتسون يركز علي إلغاء الحدود والحواجز بين الأفراد والدول، مما يعني ضغط العالم وتصغيره وزيادة الوعي به ككل، وربما كانت حركة انكماش العالم قديمة قدم البشرية، ومرت بمراحل تاريخية كثيرة صعودا وهبوطا، بيد أن هذه الحركة تسارعت بمعدلات مذهلة أخيرا وخصوصا خلال عقد التسعينيات، وذلك نتيجة للتطورات العلمية والمعلوماتية الجديدة، وبرزت خلال هذا العقد قوى ومؤسسات وشخصيات واتجاهات تعمل علي تعميق هذا الانكماش.

إن أهم ما يميز هذا المفهوم هو تركيزه الشديد علي فكرة انكماش العالم والتي تتضمن أموراً كثيرة منها تقارب المسافات والثقافات وترابط المجتمعات والدولة حينما لم يعد بالإمكان العزل والانعزال وسرعة التحولات والمستجدات وعدم القدرة علي مجاراتها.

ويعرف أنتوني جيدنز Anthony Giddens العولمة بأنها مرحلة جديدة من مراحل بروز وتطور الحداثة تتكثف فيها العلاقات الاجتماعية علي الصعيد العالمي، حيث يحدث تلاحم غير قابل للفصل بين الداخل والخارج، ويتم فيها ربط المحلي والعالمي بروابط اقتصادية وثقافية وسياسية وإنسانية [3].

ومن التعريفات التي تنظر إلي العولمة باعتبارها إلغاء للحدود وإزالة للحواجز تعريف المفكر الأمريكي جورج لودج Gearge Lodge الذي يعرف العولمة بأنها «العملية التي من خلالها تصبح شعوب العالم متصلة ببعضها في كل أوجه حياتها ثقافيا واقتصاديا وسياسيا وتقنيا وبيئيا»[4]، وهو تعريف بسيط ومركز لكن مع التسليم بأن العولمة هي اتصال شعوب الأرض ببعضها البعض، فإن درجات هذا الاتصال تتفاوت تبعا للظروف الاقتصادية للشعوب، بل إن أنماط هذا الاتصال تختلف نظرا لاختلاف عادات وتقاليد وطبائع الشعوب.

العولمة تعني

ثورة تكنولوجية واجتماعية:

قدم الكتاب عدة تعريفات للعولمة بالنظر إلي عدد من جوانبها المختلفة، ومن هذه التعريفات التعريف الذي يرى أن العولمة شكل جديد من أشكال النشاط تم فيها الانتقال بشكل حاسم من الرأسمالية الصناعية إلي المفهوم ما بعد الصناعي للعلاقات الصناعية، وهذا التحول تقوده نخبة تكنولوجية صناعية تسعى إلي تدعيم السوق الكوني الواحد بتطبيق سياسات مالية وائتمانية وتكنولوجية واقتصادية شتى [5]، وهذا التعريف يرى أن التحولات المتسارعة التي يشهدها العالم وتدفعه نحو ضغطة وعولمته إنما ترجع إلي الثورة التكنولوجية التي بإمكانها أن تحول العالم إلي سوق واحدة، والمثال البارز علي ذلك هو شبكة الإنترنت Internet التي أحدثت ثورة في أنظمة الاتصالات وأحدثت تغيراً كبيراً في بعض أشكال الحياة الاجتماعية كظهور السوق الإلكتروني Electronic Market والتجارة الإلكترونية Electronic Trade.

تعريف شومان:

يقول الدكتور محمد شومان إن مفهوم العولمة يستخدم علي نطاق واسع لتوصيف ومحاولة تحليل التحولات المتسارعة في العالم، ورصد آثارها السياسية والاقتصادية والاجتماعية [6]، وهذا التعريف يركز علي أن العولمة تشكل الإطار المرجعي لكل التحولات والتطورات السياسة والاقتصادية والاجتماعية، وتساعد علي فهم هذه التطورات، ورصد آثارها الإيجابية والسلبية.

تعريف حرب: إن العولمة ليست شيئاً بسيطاً يمكن تعيينه ووصفه بدقة، بقدر ما هي جملة عمليات تاريخية متداخلة تتجسد في تحريك المعلومات والأفكار والأموال والأشياء وحتى الأشخاص بصورة لا سابق لها من السهولة والآنية والشمولية والديمومة، إنها قفزة حضارية تتمثل في تعميم التبادلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية علي نحو يجعل العالم واحدا أكثر من أي وقت مضى، من حيث كونه سوقا للتبادل، أو مجالا للتداول، أو أفقا للتواصل[7].

العولمة حقبة تاريخية:

وينزع هذا التعريف للعولمة إلي اعتبارها حقبة محددة من التاريخ أكثر منها ظاهرة اجتماعية أو إطارا نظرياً، وهي في نظر البعض تبدأ بشكل عام منذ بداية ما عرف بسياسة الوفاق Détente التي سادت في الستينيات بين القطبي المتسارعين في النظام الدولي آنذاك، وهما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي، إلي أن انتهي الصراع والذي يرمز له انهيار حائط برلين الشهير ونهاية الحرب الباردة، وهذا المفهوم يقوم علي عنصر الزمن باعتباره العنصر الحاسم، وبغض النظر عن موضوع السببية أي الأسباب التي أدت إلي نشأة ظاهرة العولمة، وعلي ذلك فالعولمة في نظر أصحاب هذا الرأي هي المرحلة التي تعقب الحرب الباردة من الناحية التاريخية، ومصطلح العولمة مثله في ذلك مثل مصطلح الحرب الباردة الذي سبقه يؤدي دوره كحد زمني لوصف سياق تحدث فيه الأحداث، كأن يقال مثلاً نحن نعيش في عصر العولمة لتبرير أو فهم سياسات معينة اقتصادية أو سياسية أو ثقافية [8].

وهناك تعريف آخر يقول إن العولمة هي درجة من درجات تطور النظام الرأسمالي العالمي، ويتم فيها التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة أو الانتماء إلي وطن محدد أو إلي دولة معينة [9]، والعولمة وفق هذا التعريف يمكن اعتبارها حقبة تاريخية، بالمعني الذي سبق أن وصفت به الفاشية باعتبارها حقبة تاريخية أكثر منها نظاما سياسيا، أو كما يشار إلي مرحلة الكساد - Depression باعتبارها ظاهرة متميزة [10].

العولمة تعني هيمنة القيم الأمريكية:

ويرى أصحاب هذا التعريف أن الولايات المتحدة هي دولة المركز في العولمة، وأنها تحاول السيطرة والهيمنة علي العالم مستغلة انهيار الكتلة الشيوعية وتحولها إلي الرأسمالية الديمقراطية، وهو ما يعبر عنه كتاب المفكر الأمريكي الياباني الأصل فرانسيس فوكوياما Francis Fukuyama (نهاية التاريخ وخاتم البشر أو الإنسان الأخير).. The End of History And The Last Man والذي اعتبر فيه سقوط الاتحاد السوفيتي وانهيار الكتلة الاشتراكية انتصارا حاسما للرأسمالية علي الشيوعية ووفق هذا المنظور فالعولمة بالمعني المعياري للكلمة ظاهرة جيدة، وتمثل تقدما في التاريخ لأنها ترمز في الواقع إلي انتصار ظواهر التحديث وسيادة الديمقراطية كنظام سياسي.

ويقدم إبراهيم نافع مبررات موضوعية للعولمة باعتبارها رمزا للهيمنة الأمريكية في الوقت الراهن وهي:

1 – قوة الاقتصاد الأمريكي وحجمه.

2 – ضعف الوزن النسبي للأطراف الأخرى.

3 – هزيمة الأسس الفلسفية والسياسية والاجتماعية التي قامت عليها نماذج أخرى.

4 – ثقل التقدم التكنولوجي الأمريكي قياسا بما يحققه الآخرون.

5 – نجاح الولايات المتحدة في إقامة نظم ومؤسسات دولية تكفل لها الهيمنة وتجعل لها الكلمة العليا [11].

من خلال ما سبق يمكن تقديم التعريف التالي للعولمة (العولمة هي ظاهرة حديثة نسبيا تشير إلي محاولات تصغير العالم ودمجه، من خلال التقليل من أهمية الحدود الجغرافية والسياسية، وتتيح إمكانية الاتصال والتواصل بين الأفراد والمجتمعات، نشأت في مجال الاقتصاد وتعدته إلي المجالات السياسية والثقافية والاجتماعية، وساعد علي انتشارها ثورة تكنولوجية واجتماعية ورغبة سياسية وتمثل في أحد جوانبها – في الوقت الراهن علي الأقل – هيمنة للقيم الغربية بصفة عامة، والأمريكية بصفة خاصة).

المبحث الثاني:

العولمة الثقافية وتحدياتها:

العولمة في المجال الثقافي ربمالم تكن هدف محاولات عولمة العالم في البداية، ولكنها أخطر هذه المجالات لأن الثقافة هي مرآة المجتمع ونمط حياته، وأسلوب تفكيره، وبالتالي فإن ظاهرة العولمة بمعطياتها الحديثة قد أصبحت تتطلب نوعية جديدة من الثقافة حتى يتمكن الإنسان المعاصر من معايشتها والتفاعل معها بشكل إيجابي.

ومن خصائص الثقافة المعولمة :

1 – أنها ثقافة منفتحة علي العالم كله وليست محصورة فقط في المجال المحلي.

2 – أنها ثقافة متعددة الوسائل (مطبوع – مسموع – مرئي.. الخ) ولا يمكن الاقتصار علي إحداها.

3 – تتطلب متابعة يقظة وسريعة ومستوى معينا من الذكاء.

4 – يغلب عليها الطابع الكمي علي حساب الكيف والنوعية.

5 – تتميز بالإبهار في العرض، والسيطرة الكاملة علي اهتمام المتلقي.

6 – تحتاج إلي مهارة تكنولوجية للإفادة القصوى من وسائلها ومعطياتها، ومع ما نلاحظه من خلال هذه الخصائص من بعض السلبيات فإن ثقافة العولمة تتضمن بالتأكيد بعض الإيجابيات التي يأتي في مقدمتها:

1 – زيادة الوعي بالقضايا الإنسانية والتفاعل معها.

2 – تتطلب قدرا من التسامح مع وجهات النظر

المختلفة والمخالفة.

3 – تساعد علي سهولة الاندماج أو علي الأقل سهولة التعامل مع المجتمعات الأخرى[12].

وإذا كانت الثقافة هي العلوم و المعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها[13] أو هي كل ما فيه استنارة للذهن وتهذيب للذوق وتنمية لملكة النقد والحكم لدى الفرد أو المجتمع وتشتمل علي المعارف والمعتقدات والفن والأخلاق وجميع القدرات التي يسهم فيها الفرد في مجتمعه، ولها طرق ونماذج عملية وفكرية وروحية، ولكل جيل ثقافته التي استمدها من الماضي وأضاف إليها ما أضاف في الحاضر وهي عنوان المجتمعات البشرية [14]، فإن ما يمكن تنميطه وتوحيد معاييره، أو بمعني آخر ما يمكن عولمته هو ما يلي:

1– المعارف والعلوم سواء كانت نظرية أو تجريبية.

2 – المعتقدات والأفكار التي يعتنقها الفرد تجاه قضية ما.

3 – الفنون المختلفة من رسم وموسيقي وغناء وسينما ومسرح وإنتاج إذاعي وتليفزيوني.

وهذه الفنون هي مرآة المجتمع الذي نشأت فيه ومحاولة تنميط هذه الفنون ينطوي علي قدر كبير من إقصاء الخصوصي وإحلال الآخر المبهر بإمكاناته محله.

4 – الأخلاق وهذه المسألة نسبية من مجتمع لآخر وذلك نظراً لاختلاف للموروث الحضاري والمكون الديني في كل مجتمع.

وإذا سلمنا بأن الثقافة الخاصة بكل مجتمع هي عنوانه فإن من الصعب اختزال كل المجتمعات في عنوان واحد وقيم وتقاليد ومعتقدات واحدة وأسلوب حياة واحد[15].

والعولمة الثقافية تتمثل في الاتجاه لصياغة ثقافة عالمية لها قيمها ومعاييرها والغرض منها ضبط سلوك الدول والشعوب [16]، بمعني الاتجاه إلي إقامة نظام عالمي موحد في مجال الثقافة، وتثير العولمة الثقافية عدداً من القضايا الثقافية منها:

تعدد الثقافات:

توجد معادلة صعبة تحكم تفسير الثقافة فهناك من يتحدث عن وجود طبيعة إنسانية واحدة، وفي الوقت نفسه عن تنوع في الثقافات البشرية عبر الحدود، فالثقافات في جوهرها خاصة إذا كانت تعني – في مفهوم مبسط – قدرة الإنسان أو الجماعات الإنسانية علي التكيف بطريقة خلاقة و ليس مجرد رد الفعل مع البيئة التي يعيش فيها، وهذا التكيف يقصد به التدخل في الطبيعة لجعلها مناسبة وملائمة بحيث يتمكن من البقاء والتطور، فالثقافة هي علاقة الإنسان بالطبيعة بطريقة عكسية إذ تزداد ثقافة الإنسان كلما قلت هيمنة وسيطرة الطبيعة عليه، ولكن علينا ألا نبالغ في عملية قهر الطبيعة فقد يقود ذلك إلي فلسفة القوى والتفوق، وإلي تخريب البيئة الطبيعية، وبهذا الفهم فالثقافة خاصة ومتعددة في الوقت نفسه، لأن الإنسان لابد أن يوجد في إقليم معين ووسط جماعة محددة، وبالتالي تتعدد وتتنوع أشكال الاستجابة والتفاعلات مع البيئة الطبيعية وما يتبع ذلك من إبداع، ونقصد بالإبداع هنا الثقافة نفسها، خاصة لو عرفنا الثقافة بأنها كل ما يبدعه الإنسان أو ينتجه الإنسان بيده أو جسمه أو عقله مثل الصناعة والعمل والتفكير والتأمل، فالثقافة هي ذلك الكل المركب الذي ينتجه الإنسان ويشتمل علي المادي وغير المادي[17].

وإذا كان العالم قبل انتهاء الحرب الباردة كان يعرف نفسه بأنه إما رأسمالي وإما اشتراكي وإما موال لأحد الفريقين، وإما أنه يقف علي الحياد من كليهما، وكان لكل نظام ثقافته المائزة عن غيره في القواعد العامة، وتختلف الأقاليم والبلدان في تفاصيلها الجزئية، فالمكون الثقافي هو عنصر حاسم في تكوين الفروقات الفردية بين المجتمعات والشعوب.

ويرى هنتنجتون أن العالم به عدد من الحضارات الرئيسية المعاصرة وهي: الحضارة الإسلامية والغربية

إحدى ندوات حوار الاديان السنوية التي تقيمها المملكة الأردنية في جامع الملك حسين

والصينية واليابانية والهندية وحضارة أمريكا اللاتينية [18]، وذلك بخلاف الحضارات التي لم يعد لها وجود مثل حضارات المصريين القدماء ووادي الرافدين والحضارة الإغريقية والكلاسيكية والبيزنطية، وبالتالي فإن العالم يحتوي علي حضارات متعددة، كل حضارة لها ثقافتها الخاصة بها، بل وتتنوع الثقافات داخل الحضارة الواحدة ومحاولة عولمة الثقافة هي محاولة للتقريب والاندماج بين هذه الثقافات كلها في ثقافة واحدة، واختزال كل هذه الحضارات في حضارة واحدة.

حوار أم صدام الحضارات:

يعتقد صمويل هنتنجتون – وهو من أهم منظري العولمة – بوجود الحضارات الغربية واليابانية والهندوسية والكونفوشيوسية والإسلامية والسلافيكية، وحضارة أمريكا الجنوبية، ويرى أن هناك أسبابا لنشوء الصراعات بين هذه الحضارات:

1 – وجود اختلافات حقيقة وأساسية حول موضوعات محددة مثل الآلة والإنسان، الفرد والمجتمع، المواطن والدولة، الحقوق والواجبات، الأزواج والزوجات، الليبرالية والسلطة.. الخ.

2 – ازدياد التفاعل بين هذه الحضارات بفعل العولمة، والتي تجعل العالم أصغر.

3 – الحداثة أو التحديث Modernization والتي تضعف الإحساسات التقليدية بالهوية مما يجعل الأصوليون الدينيون يتحركون لملء الفجوة الخاصة بالهوية.

4 – تضاؤل قبول تسيد الولايات المتحدة والغرب.

5 – صعوبة الجمع بين الخواص الثقافية، فبينما يمكن أن يكون الفرد نصف فرنسي – نصف عربي، فإنه من الصعب أن يكون نصف كاثوليكي – نصف مسلم [19].

وبين التقارب والصراع، الحوار والصدام فإن مسيرة العالم يمكن أن تتجه إلي أحد خيارين:

1 – الخيار الأول: هو أن يتولى الأقوى – أيا كان – اتخاذ القرار سواء بقدر من الحكمة أو ببعض الهمجية، وهذا يعني أن يصير العالم توليفة من لاشرعية متزايدة وصراعات متعمقة.

2 – وأما الخيار الثاني: فهو أن تكون هناك قيادة جماعية للعالم، وذلك من خلال العمل من أجل التوصل إلي اتفاق، يتم الانتماء إليه من جميع شعوب العالم، وبذا يتضح أن تحدى العولمة يؤدي إلي انبعاث فكرة القيادة الجماعية وبناء مؤسسات جديدة لإدارة القلاقل العالمية [20].

ويرى الباحث أن العلاقة بين الحضارات ينبغي أن تدور في إطار الحوار والتعاون والتفاعل، وليس الصراع

والصدام والتحدي، إن الشعوب إذا كان اختلافها في العادات والتقاليد وأنماط التفكير والتواصل – وهي المكونات الثقافية الأساسية – حقيقة إنسانية، فإن التعارف فيما بينهم وبين بعضهم البعض هدف في النهاية، وهذا التعارف مبني علي الحوار وقبول الآخر والاستماع إليه والتفاعل معه، وفي القرآن الكريم يقول الله تعالي: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) [21]، فالصراع دائما ليس صراعا حضاريا، ولا تقوم الصراعات – كما يقول هنتنجتون – نتيجة الخلافات الحضارية، بل عندما يلجأ القادة إلي إذكاء نار الخلافات مهما كانت بسيطة بين طائفتين، ثم يلجئون إلي استخدام السلاح من أجل فرض السيطرة واستغلال الشعوب، وفي هذه الحالة لا يقع الصراع وإنما تدمر الحضارات، أما في حالة وجود قادة عظام فإن الحضارات لا يصارع بعضها البعض وإنما تتكامل، ويرى مؤرخو الحضارة أن الحضارات لا تتصارع ولا تفنى، وضربوا مثلا بالحضارة الإسلامية، وذلك حين آلت مجتمعاتها إلي السقوط، وسقط هيكلها السياسي، وانحصرت جغرافيتها، فإن رصيدها الثقافي قد تواصل وازداد مده الجغرافي حتى تخلل عقول أوربا، فالصراع دائما بين الأشخاص وليس بين الحضارات[22].

إشكاليات العولمة الثقافية

تثير العولمة في المجال الثقافي عددا من الإشكاليات التي أثارت كثيرا من المخاوف لدى عدد كبير من المحللين والكتاب في دول الشمال (دول المركز في حركة العولمة) ودول الجنوب (دول الأطراف)، ويمكن اعتبار عدد كبير من مظاهر العولمة الثقافية بمثابة إشكاليات تنشأ عنها، ومنها:

1 – تهديد الهويات الذاتية والخصوصية الثقافية:

وذلك علي اعتبار أن هذه الخصوصيات الثقافية هي رمز للهوية الذاتية، والمشكلة هي الاتجاه لصياغة ثقافة عالمية في ظل العولمة لها قيمها ومعاييرها، والغرض منها ضبط سلوك الدول والشعوب [23]، ولأن الدعوة إلي العولمة قد ظهرت في الولايات المتحدة، فإن هذا يفترض أنها تعني الدعوة إلي تبني النموذج الأمريكي في الاقتصاد والسياسة وفي طريقة الحياة بشكل عام [24].

2 – إشكالية التبعية الثقافية للثقافة الغربية:

بمعني أن القوة الاقتصادية والعسكرية والسياسية المتزامنة مع قوة الثقافة الغربية والمسببة لها، تزيد من جاذبيتها بالنسبة للغير، مما يؤدي إلي خلق أزمة تبعية ثقافية للغرب، والتي يطلق عليها البعض غزوا فكريا أو استعمارا جديدا.

والسبب في هذه التبعية الثقافية التي يحدد الغرب بمقتضاها جدول أعمالنا الثقافية، ويطرح القضايا، ويقارن بين أولوياتها هو عدم التكافؤ الذي يقول عنه الغزالي (إن التلاقح الفكري قد يتم بين عنصرين متكافئين، أو طرفين متقاربين في القوة والمقاومة والاختيار، وعندئذ تكون قضية خذ وأعط في نطاق محدد، ويكون التبادل لحساب الفريقين معا) [25].

3 – إشكالية العنف الثقافي:

يتحول الانحياز إلي ثقافة ما في بعض مراحله المتطرفة إلي سلوك عنيف يمكن تسميته بالاغتصاب الثقافي، ويمثل عدوانا رمزيا علي سائر الثقافات لتكون رديف الاختراق الذي يجرى بالعنف المسلح.

فيهدد سيادة الثقافة في سائر المجتمعات التي تبلغها عملية العولمة، وهذا الاختراق الثقافي ليس سوى العنف الذي يقوم علي الإنكار والإقصاء لثقافة الغير والاستعلاء، والمركزية الذاتية في رؤية ثقافية من خلال استثمار مكتسبات العلوم والتقنية في مجال الاتصال [26].

4 – إشكالية الخواء الفكري والانحراف الأخلاقي:

وتظهر هذه الإشكالية في دول المركز في حركة العولمة، حيث شهدت هذه الدول حالات كثيرة من الاضطرابات التي تحولت إلي سلوكيات غير سوية مثل حالات الانتحار الجماعي.

وتتضمن هذه الإشكالية المظاهر التالية:

أ – زيادة في السلوك غير الاجتماعي مثل الجريمة وتعاطي المخدرات وأعمال العنف بشكل عام.

ب – التفكك الأسري، ويشمل ارتفاع نسب الطلاق والأطفال غير الشرعيين وحمل الفتيات الصغيرات وزيادة عدد الأسر المكونة من والد واحد.

جـ – التدهور في الرأسمال الاجتماعي – علي الأقل في الولايات المتحدة – أي عضوية المؤسسات التطوعية والثقة المتبادلة المرتبطة بتلك العضوية.

د – الضعف العام في أخلاقيات العمل وصعود توجهات الانغماس الذاتي.

هـ – تناقص الالتزام بالتعلم والنشاط الفكري، ويظهر ذلك في المستويات المتدنية للتحصيل الدراسي في الولايات المتحدة [27].

5 – إشكالية عدم الطمأنينة وغموض المستقبل:

أنشأت العولمة الثقافية جوا من التوتر وعدم اليقين، بسبب العلاقات المعقدة بين المتغيرات المصاحبة لهذه الظاهرة (لقد أصبح مجرد فهم الواقع تحديا كبيرا في حد ذاته، بعكس الحقب السابقة التي زعمت فيها العلوم الاجتماعية أنها قادرة ليس فقط علي فهم الواقع وتفسيره، ولكن التنبؤ بمساره أيضا، ضاع هذا الطموح بعد أن أصبح العالم وفقا لعبارة أصبحت تقليدية يتسم بعدم اليقين، ولا يمكن التنبؤ بمستقبله) [28].

إن عدم الطمأنينة قد عم حتى القمة المسئولة عن السياسة الدولية، حيث يقول الأمين العام للأمم المتحدة السابق: «إننا نعيش في غمرة ثورة شملت المعمورة بأجمعها، إن كوكبنا يخضع لضغط تفرزه قوتان عظيمتان متضادتان، إنهما العولمة والتفكك، إن التاريخ يشهد علي أن أولئك الذين يعيشون في غمرة التحولات الثورية، نادرا ما يفهمون المغزى النهائي لهذه التحولات» [29].

المبحث الثالث

العولمة الإعلامية.. والحضارة الإسلامية

تشير العولمة في مجال الإعلام إلي وحدة المضمون الإعلامي مما يحقق تنوعا وتعددا وجماهيرية أكثر لدى المتلقين، وأنها تعمل علي تآكل الحدود التقليدية للدول، فبالرغم من أنها أحد فروع العولمة إلا أنها تؤدي إلي مزيد من العولمة، وتعمل علي نشرها بين أرجاء المعمورة، وأنها انطلاقا من نفس الغاية تقلل أهمية الهوية والانتماء إلي وطن بعينه، وبإمكان القنوات الإعلامية أن تضخم ما تريد تضخيمه، وتهمش ما يريد القائمون عليها إهماله.

والعولمة الإعلامية هي مزيد من التركيز في ملكية وسائل الإعلام والتكامل الرأسي والتكنولوجيا الجديدة، وتخفيف القيود، ومن شأن هذا خلق فرص جديدة أمام المستهلكين (حرية الانتقاء الإعلامي) وتخفيض تكلفة التكنولوجيا وخلق فرص جديدة للعمل، فالتنافس سيصبح من مصلحة المستهلك (جمهور المتلقين) في ظل استمرار الصراع بين الرأسمالية العالمية المتمثلة في الشركات الكبرى متعدية الجنسية والدولة القومية في مجال الثقافة والإعلام [30].

بينما نجد فريقا آخر يعارض عولمة الإعلام، ويرفض ما يقال عن إيجابياتها، مثل هربرت تشللر الذي يرى أن عولمة الإعلام ما هي إلا تركيز وسائل الإعلام في عدد من التكتلات الرأسمالية عابرة الجنسيات، التي تستخدم وسائل الإعلام كحافز للاستهلاك علي النطاق العالمي، ويؤكد تشللر أن أسلوب الإعلان الغربي ومضمون الإعلام يدفع إلي التوسع العالمي لثقافة الاستهلاك عبر إدخال قيم أجنبية تطمس أو تزيل الهويات القومية والوطنية [31].

وتشللر هو أحد ممثلي النموذج النقدي في دراسة الإعلام وله إسهامات كثيرة في نظرية الإمبريالية الثقافية، ويعتبر عولمة الإعلام نفيا للتعددية الثقافية، وانتصارا للقيم الاقتصادية الليبرالية الناشئة عن مبدأ المنافسة والربح والخسارة، وتحويل المضامين الإعلامية إلي سلع تخاطب جمهور الكوكب الأرضي بواسطة الشركات المتعملقة.

وفي الإطار نفسه يرى تشومسكي أن عولمة الإعلام هي الزيادة الضخمة في الإعلان، خاصة الإعلان عن السلع الأجنبية، والتركيز في ملكية وسائل الإعلام الدولية، وبالتالي انخفاض التنوع والمعلومات مقابل الزيادة في التوجه للمعلن، وأن العولمة هي التوسع في التعدي علي القوميات من خلال شركات عملاقة يحركها أولاً الاهتمام بالربح وتشكيل الجمهور وفق نمط خاص، حيث يدمن الجمهور أسلوب حياة قائما علي حاجات مصطنعة، مع تجزئة الجمهور، وفصل كل فرد عن الآخر، حيث لا يدخل الجمهور الساحة السياسية ويزعج أو يهدد نظام القوى أو السيطرة في المجتمع[32].

سمات العولمة الإعلامية:

يتسم الإعلام في عصر العولمة بعدد من السمات، من أهمها:

أولاً: أنه إعلام متقدم من الناحية التكنولوجية، ومؤهل لتطورات مستقبلية جديدة ومستمرة تدفع به إلي المزيد من الانتشار المؤثر في المجتمعات المختلفة.

ثانياً: هيمنة الشركات الأمريكية علي قطاع الإعلام والاتصال والترفيه، والمقصود بالهيمنة هنا هي السيطرة علي الملكية، والسيطرة علي محتوى وتوجهات المضامين والأشكال المنتجة، حيث يوجد في العالم ست مجموعات رئيسية كبري تعمل في الأنشطة الإعلامية، ولها حضور دولي كبير يتفاوت من مؤسسة لأخرى، أربعة منها أمريكية، وواحدة أوربية، وواحدة أسترالية أمريكية.

ثالثاً: التكامل الرأسي:

من سمات الإعلام في عصر العولمة أيضا ظهور الشركات العملاقة ومتعددة الجنسيات وقيامها بالملكية المتعددة لوسائل إعلامية وأنشطة متعددة من نشر كتب وصحف إلي محطات إذاعية وتلفزيونية إلي استوديوهات إنتاج سينمائي وتلفزيوني.. الخ.

رابعا: تراجع دور الدولة في النظام الإعلامي الدولي:

بعدما كان الإعلام – عبر فترة كبيرة – يمثل أحد عناصر قوة الدولة في السيطرة علي الرأي العام في الداخل ووسيلة هامة من وسائل سياستها الخارجية علي المستوى الدولي فإنه الآن في ظل الثورة التي أحدثتها تكنولوجيا الاتصال، وفي ظل انتشار العولمة كظاهرة وما تعنيه من عولمة الاقتصاد والدعوة إلي توحيد الأسواق، والخصخصة، وطبقا للتفسير الاقتصادي لوسائل الإعلام، وتحول الاقتصاد العالمي نفسه خلال العقد الأخير من القرن العشرين إلي اقتصاد معلومات حيث أصبحت المعلومة فيه أهم عوامل إنتاج السلع والخدمات فإن دور الدولة تراجع بصفة عامة، وبدأت أهمية حدودها الجغرافية تتآكل وبالتالي بدأت سيطرتها علي وسائل الإعلام تقل بعدما كانت هي اللاعب الوحيد في مجال الإعلام حيث تقوم بوظيفة تنظيم ورقابة بيئة النظام الإعلامي علي المستوى المحلي أو الوطني فهي التي تمنح تراخيص وإدارة المؤسسات الإعلامية وتقوم بسن القوانين المنظمة لعمل هذه المؤسسات وتنفيذ هذه القوانين ثم الرقابة علي تدفق المعلومات عبر حدودها الوطنية.

خامسا: توسيع الخيارات والبدائل المتاحة أمام الجمهور:

حيث وفرت تكنولوجيا الاتصال والاندماج والتكامل في تكنولوجيا المعلومات فرصا غير محدودة أمام الجمهور للانتقاء من بين وسائل الإعلام التقليدية (صحف، إذاعة، تلفزيون) والحديثة أو غير التقليدية (البث الفضائي الرقمي، أجهزة الكمبيوتر، شبكات المعلومات، الصحافة الإلكترونية، الوسائط المتعددة[33]، وإن

كان هناك جدل كبير حول ما إذا كانت هذه التعددية والوفرة في وسائل الإعلام خاصة في التلفزيون تحقق تنوعا حقيقيا أم لا، حيث يرى فريق من الباحثين أنها لا تحقق هذا التنوع، وأشاروا إلي أن آلية التركيز والتكامل الرأسي ستجعل هناك أقلية تسيطر علي إنتاج المضامين والصور مما سيقلص فرص التنوع الحقيقي.

كذلك فقد شكك ممثلو النموذج النقدي في إمكانية وجود المتلقي النشط القادر علي الاختيار الواعي والعقلاني بين ما يقدم من مضامين وبرامج وصور يغلب عليه الترفيه أو العنف أو الجنس[34].

سادسا: لا يشكل الإعلام المعولم نظاما دوليا متوازنا

لأن كل مدخلاته ومراكز تشغيله وآليات التحكم فيه تأتي من شمال الكرة الأرضية وهذا ما أدي إلي هيمنة الدول المتقدمة عليه في مقابل تبعية الدول النامية له.

المبحث الرابع.. عالمية الحضارة الإسلامية.. والعولمة الغربية

تنقسم الأدبيات الإسلامية التي بينت موقف المسلمين من العولمة إلي قسمين:

1 – قسم يرى أن العولمة هي العدو الأكبر والخطر القادم الذي يستهدف المسلمين، فيقوم بتخريب اقتصادهم، ومحو ثقافاتهم، وتدمير نظمهم السياسية والإعلامية، ويرى أن العولمة كلها سلبيات، ولا تضم بين جوانبها أية إيجابيات يمكن أن يستفيد منها المسلمون، فالعولمة بهذا المعني ما هي إلا شكل جديد من أشكال الاستعمار التي شهدها العالم، حيث اتخذ الاستعمار أشكالا مختلفة، بدأ بأشكال الاحتلال العسكري، ثم التطورات التي نعيشها الآن، فجوهر الفكرة الاستعمارية تكمن فيما يطرح الآن باسم العولمة، فاستعباد الشعوب قائم، ولكنه يأخذ بمكتسبات العلم والتطورات الاقتصادية، ويحاول صياغة مفهوم جديد للاستعمار لا يخرج عن جوهره الأساسي[35]، وهذه الكتابات تبني رفضها للعولمة رفضا كليا علي تحليل خريطة العالم الاقتصادية، حيث تتوحش الرأسمالية، فأبناء حضارة الشمال الذين يمثلون 20% من سكان المعمورة يملكون ويستهلكون 86% من الإنتاج العالمي، كما ينفقون.

- 780 بليون دولار هي حجم الإنفاق العالمي علي التسليح وأدوات الدمار.

- 400 بليون دولار هي حجم الإنفاق العالمي علي المخدرات.

- 105 بليون دولار تنفق علي الخمور والكحوليات في أوربا وحدها.

- 67 بليون دولار تنفق علي القطط والكلاب المنزلية في أوربا والولايات المتحدة وحدهما.

أي أن مجموع ما ينفق علي هذا السفه والدمار يبلغ 1352 بليون دولار، بينما مجموع الإنفاق العالمي علي كل من الصحة

والتعليم والغذاء لا يتجاوز 19 بليونا، للتعليم 6 بلايين وللغذاء والصحة 13 بليونا [36] بالإضافة إلي تهميش دور المنظمات الدولية لحساب تعظيم الهيمنة الأمريكية علي العالم في إطار عولمة العالم السياسية.

وبالطبع فإن هذه الكتابات لا ترى أن المسلمين وحدهم هم المستهدفون من العولمة وآلياتها، حتى لا تقع هذه الكتابات في فخ نظرية المؤامرة التي يرفضها كثير من الكتاب.

فليس هناك مجتمع محدد مستهدف بالعولمة، ولا قطاع معين أو دولة محددة، لكن أينما وجدت التسهيلات الفنية والإمكانيات المادية وجدت العولمة، لذلك نجد توجها قويا للمجموعات الإعلامية الدولية تجاه المراهقين والأطفال نظراً للوقت الطويل الذي يقضونه أمام شاشات التليفزيون والإنترنت والكمبيوتر، والمجتمعات العربية والإسلامية مستهدفة بهذه العولمة ضمن هذا الميدان، فحيثما شرعت الأبواب لهم فإنهم داخلون، لا يعتدون غالبا بالبيئات وثقافاتها وتقاليدها، فضلاً عن دينها ومبادئها[37].

ويأتي رفض هؤلاء الكتاب المسلمين للعولمة انطلاقا من محورين:

أ – المحور الأول: كشف أقنعة الحضارة الغربية وإظهار مساوئها، وتفنيد أقوال رموزها والمنظرين لها، حيث أن بنية الفكر القائد في الحضارة الغربية قائم علي المذهب البراجماتي (النفعي) الذي يخضع كل شئ للتطبيق والتجريب ثم يعود بالمنفعة، فليس مهما مثلاً أن يكون الله موجوداً أو غير موجود، وإنما المهم علي حد قول ويليام جيميس الأمريكي أهم منظري البراجماتية (أن نتمتع بإله إذا كان لدينا إله) [38].

وحول مقولة: أن العالم كله صار قرية واحدة – باعتبارها ميزة إعلامية عولمية – يرى الدكتور محمد عمارة أن في هذا القول مجافاة للحقيقة، صحيح أننا أمام ثورة كبيرة في عالم الاتصال، لكن هذه القرية الواحدة بيوتها ليست سواء، وسكانها ليسوا سواء، أي أن هذه القرية بها الظالم والمظلوم، بها القاتل والمقتول، بهـا من يتأجج بأسلحة الدمار الشامل ومن ينزع سلاحه وتقلم أظافره [39].

ب – المحور الثاني: أن الإسلام كدين عالمي يدعو إلي المبادئ والمثل العليا يتعارض مع فلسفة العولمة القائمة علي المصلحة النسبية والمجردة، فتحت عنوان الإسلام دين العالمية لا العولمة، يقول أحد المفكرين: (إن الإسلام بطبيعته عالمي، وإن عالميته تقوم علي التعريف به وما فيه من قيم، وأن هذا يمكن أن يتم مع احتفاظ الأمم الأخرى بأديانهم، لأن الإسلام وإن كان عقيدة من ناحية، فهو نظام في ناحية أخرى وقاعدته الهامة هي:

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [40]

وهذه الآية هي التي تجعل الإسلام دينا عالميا، وتجعله في الوقت نفسه يرفض العولمة المزعومة لأنها تجعل من قادة المجتمع الأوربي والأمريكي أربابا من دون الله وتملي علي شعوب العالم الثالث التسليم لها، ذلك أن العولمة التي يدعون إليها ليل نهار ليست إلا الصورة الأخيرة من الهيمنة الغربية علي العالم) [41].

2 – والقسم الثاني من الكتاب والمفكرين المسلمين يرون أن العولمة ليست شراً كلها وليست خيراً كلها، وإنما بها الخير والشر، وتتسم هذه الكتابات بأنها هادئة ومتعمقة وبعيدة عن الانفعال والتعصب.

فالعولمة أو النظام العالمي الجديد يحمل العديد من الإيجابيات إذا أحسنا التعامل معها بذكاء وفطنة، واستطعنا أن نضع الخطط العلمية ونمسك بزمام المبادرة، لأن هذه الظاهرة سوف تعطينا الفرصة لنقدم ما لدينا من حجج عقلية وأدلة منطقية يمكن أن نقنع بها العالم، كما أنه سوف يحرك المياه الراكدة في الدول الإسلامية، ويفتح أذهان الشعوب إلي أنماط جديدة من الحياة في المجال السياسي والاقتصادي والثقافي، فما

لم تحتك هذه الدول بالعالم المتقدم وترى ما يدور فيه من أحداث سياسية ومعطيات حضارية واستكشافات علمية ومعارف جديدة، فسوف تظل هذه الدول علي هذا الحال من الجمود والتحجر، وسوف تتجمد العقول، وتتوقف القرائح، وتتسع الهوة بين العالم الغربي والعالم الإسلامي في مختلف المجالات التي قطع الغرب فيها شوطاً كبيراً [42].

ولن يجدي التعامل مع ظاهرة العولمة بمنطق الرفض المطلق ولا التأييد الكامل، ولكن الأمر في حاجة إلي شئ من التأمل، فالإسلام دين متفتح لا يرفض حضارة معينة لمجرد كونها أجنبية، وإنما ينظر فيها ويفحصها بعناية ويأخذ منها ما يفيده في مسيرته الحضارية، ويؤكد ذلك قول النبي – صلى الله عليه وسلم -: «الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها «والأثر المشهور» اطلبوا العلم ولو في الصين «أي ولو كان في يد من لا يدينون بدينكم، أو بمعني آخر: ولو كان في أبعد مكان في الدنيا، وقد استفاد المسلمون عندما أرادوا بناء حضارتهم من كل الحضارات التي كانت قائمة آنذاك، وفي هذا الصدد يرى الفيلسوف ابن رشد أن الشرع يوجب الاطلاع علي كتب القدماء، ويدخل في ذلك بطبيعة الحال الإطلاع علي كل جديد في مستقبل الأيام، ويقول ابن رشد: «ننظر في الذي قالوه من ذلك وما أثبتوه في كتبهم، فما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم وسررنا به وشكرناهم عليه، وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم»[43].

وضع الباحثون شروطاً أربعة للاستفادة من الحضارة الغربية علي وجه الخصوص:

1 – أن يتم الاقتباس بشكل إرادي واع، وعن طريق الانتقاء لما يلائمنا، فنأخذ ما نراه أوفق لنا وندع غيره، ونضع ما نقتبسه في مكانه الصحيح من حياتنا.

2 – نعلم أن الاقتباس يتم لمصلحة المقتبس لا لترسيخ قدم المقتبس عنه وتمكينه من أعناقنا كما يأمل الاستعمار الثقافي.

3 – أن يقع ذلك علي جرعات متراخية ونظام رتيب ييسر النفع ويمنع الأزمات الحضارية والاختناقات الاجتماعية، وعقد النقص التي قد تعتري المقتبسين.

4 – ولا بأس بين الحين والحين أن نراجع ما قلنا وما أفدنا، وأن نحسب مدى الربح والخسارة في هذا التلاقي الحضاري وذلك علي ضوء ما نقدس من كتاب ربنا وسنة نبينا – صلى الله عليه وسلم – [44].

فلا يصح للمسلمين أن يعزلوا أنفسهم عن العالم ويرفضوا العولمة بخيرها وشرها، أو أن يسيروا في ركابها دون تمييز بين الغث والسمين.

فالعولمة أمر واقع، والهرب من ضغطها وحصارها غير ممكن، فلابد لنا أن نقف منها موقف الانتقاء، وأن نتعاون علي تجنب سلبياتها، بتطوير أنفسنا وإمكانياتنا، وتجنيد طاقاتنا، ومواجهتها مجتمعين لا منفردين، فيد الله مع الجماعة، وعلينا أن نستفيد من آليات العولمة وفرصها المتاحة في تبليغ العالم رسالتنا الإسلامية، التي حملنا الله أمانة الدعوة إليها وبيانها للناس بلسانهم حتى يفهموا ويتثقفوا.

وتقوم عليهم الحجة... ويجب علي المسلمين في كل مكان أن تكون لهم في عصر العولمة مبادرات من هذا النوع يفرضون بها أنفسهم علي العالم، بوصفهم حملة رسالة ربانية إنسانية، والبشرية كلها في حاجة إليهم، ولا ينبغي أن تتمثل مواقفنا في مجرد ردود أفعال [45].

وإذا كان البعض يرى أننا غير مؤهلين حاليا لتقديم رسالتنا إلي من يتفوقون علينا علميا وتكنولوجيا واقتصاديا وعسكريا فإن هذا رأي يجانبه الصواب، فحين خرج الدعاة من بداية العرب لا يملكون من متاع الدنيا إلا قوة الإيمان فقد حقق الله علي أيديهم ما لم يتحقق علي أيدي غيرهم ممن توافرت لهم أسباب القوة والمنعة والثراء، ومن هنا فإن قنوات الاتصال الدولية تستطيع أن تقدم الإسلام بصورته الصحيحة لهؤلاء الذين أساءوا فهم هذه العقيدة، وناصبوها العداء دون فهم، لأن هذا الدين قد أقام العلاقة بين الأفراد والجماعات وبين الدول علي مبادئ تقوم علي السلام والأمان والإخاء

والحب، وتقضى علي روح الاستعلاء بالعنصر أو الدم أو الإقليم أو القوم، وتفتح الطريق لأسلوب جديد من التعامل يقوم علي أساس وحدة الخلق لأن الناس كلهم أخوة وأصل واحد [46]، وبقي أن يطبق المسلمون هذه المبادئ ليرى العالم صورة مشرقة ومشرفة لهذا الدين العالمي الرسالة ويواجهوا التحديات التي تعترض حياتهم بمزيد من التعقل والعمق.

إن علي المسلمين أن يميزوا في تيار العولمة الذي يجتاح العالم من جميع الجهات بين ما هو إيجابي وما هو سلبي، إذ لم يعد أسلوب الشجب والإدانة والاستنكار يجدي، وأن علي أن المسلمين يواجهون تحديات كبرى في هذا العصر، ولا مفر أمامهم من التصدي لها، فلا يجوز للمسلمين في عالم اليوم أن يكونوا مجرد متقبلين أو مستهلكين لمنتجات العصر وأفكاره، فدينهم العظيم يفرض عليهم أن يكونوا مشاركين بفاعلية في كل التطورات العلمية والإنجازات التكنولوجية التي تخدم الإنسانية[47]، وذلك يتطلب أمورا ستة لابد أن يضعها المسلمون أمامهم كقضايا هامة لكي يكونوا في صدارة المجتمعات:

1 – فقه السنن الإلهية في الكون، والدخول في هذا القرن الجديد بالمنطق الإيماني.

2 – تسيد منطق العلم في شئون الحياة اجتماعيا وثقافيا وسياسيا، وإعادة العالم إلي مكان الصدارة في المجتمع.

3 – جمع الصف الإسلامي الممزق تحت أي مسمى من المسميات.

4 – حسن استغلال الثروات الكونية التي أنعم الله بها علي المنطقة الجغرافية للعالم الإسلامي.

5 – فتح أبواب الحوار مع الآخر وأخذ النافع منها والاستفادة من خبراته.

6 – إزالة العوائق أو الحواجز النفسية بين المؤسسات الحاكمة في العالم الإسلامي [48].

عالمية الإسلام

قرر القرآن الكريم أول نزوله بمكة عالمية الرسالة الإسلامية، فالقرآن جاء ذكرا للعالمين، ومحمد – صلى الله عليه وسلم – جاء مبعوثا إلي الناس كافة، قال تعالى: «إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ»[49]، وقال تعالى: «وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ »[50]، وكان كل رسول قبل سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – يبعث إلي قومه خاصة، فسيدنا نوح أرسل إلي قومه فقط، يقول تعالى: «إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ»[51]، وسيدنا إبراهيم يقول عنه تعالى: «وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ»[52]، ولوط كما في قوله: «كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ »[53]، وهود كما في قوله: «وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ»[54]، وصالح أرسل إلي قومه ثمود، يقول تعالى: «وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ»[55]، وشعيب أرسل إلي أهل مدين، يقول تعالى: «وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ»[56]، وعيسى أرسل إلي بنى إسرائيل، كما في قوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ»[57]، أما محمد – صلى الله عليه وسلم – فأرسل إلي جميع الناس، يقول الله تعالى مخاطبا رسوله: «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً»[58]، وذكر في كتب التفسير أن هذه الآية نزلت في جماعة من اليهود كانوا يقولون إن محمدا نبي، ولكنه نبي للعرب خاصة، والله يرد عليهم قولهم ويطلب منهم في نفس الآية أن يؤمنوا به وبالرسول قائلاً: «فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ»[59]، والله في هذه الآية يشهد لرسوله بأنه مرسل إلي جميع الناس عربا وغير عرب، ويقول في سور يوسف وص والتكوير في وصف القرآن: «إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ»[60]، وفي سورة القلم: «وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ»[61]، ويخاطب الله رسوله قائلاً: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ»[62]، فهو رحمة مهداة إلي جميع الخلق: رحمة في خلقة وجميع صفاته وشمائله، ورحمة بشريعته المهداة إلي العالم إذ بنيت علي الرحمة واليسر والتخفيف عن الناس[63].

وعالمية الرسالة الإسلامية تستند إلي حقيقة بيولوجية أساسية يقررها القرآن الكريم، وهي أن كل الشعوب والقبائل البشرية ينتمون إلي أب واحد وأم واحدة، يقول تعالى:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبا»[64]، ويقول:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»[65]. فبين شعوب الأرض كلها صلات رحم لأنهم ينتسبون إلي نفس واحدة، إلي آدم – عليه السلام –، وزوجته التي خلقها الله تعالى من آدم.

وتلتقي العالمية Universal مع العولمة Globalization في أن كلتاهما تقوم أساساً علي الانتشار علي المستوى العالمي، لا يقف أمامها حدود جغرافية ولا حواجز سياسية، مستغلة كافة أنماط الاتصال المختلفة لتحقيق هذا النمو علي المستوى الدولي، ويمكن وضع الفروق التالية بين عالمية الإسلام والعولمة الغربية:

م	عالمية الإسلام	العولمة الغربية
1	جاءت بقرار إلهي	جاءت بقرار المخططين لها ومنظري العولمة الغربية
2	تهدف إلي صالح البشرية جمعاء	تهدف إلي تحقيق مصالح الغرب بصفة عامة والولايات المتحدة الأمريكية بصفة خاصة ولو علي حساب الآخرين.
3	تهدف إلي نشر القيم الإنسانية لكل البشر وتأكيد حق كل إنسان في الحرية والمساواة وصيانة مؤسسة الأسرة واحترام المرأة ومنع الظلم والاستغلال.	تنطوي علي بعض العناصر الإيجابية المقبولة ولكنها تنطوي أيضا علي استغلال وقهر الإنسان من حيث هو إنسان من جانب الشركات العالمية الكبرى التي لا هدف لها إلا الربح المادي.
4	بدأت مع ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي.	بدأت في نهايات القرن العشرين علي الأرجح.
5	تتسم باللامركزية فرغم أنها بدأت في شبه الجزيرة العربية إلا أنها تعمل لصالح الإنسان أيا كان.	تتسم بالمركزية الغربية.
6	حققت مزيدا من التقدم والرخاء إبان ازدهار الحضارة الإسلامية.	خلقت عددا من المشاكل الاقتصادية والثقافية والسياسية كالبطالة والفقر وتركز الثروة وغيرها.
7	أشهر من دعا إلي عالمية الإسلام محمد – صلى الله عليه وسلم – والخلفاء الراشدون وأهل العلم من المسلمين.	أشهر من دعا إلي العولمة الغربية فرانسيس فوكوياما ورونالد روبرتسون وتوماس فريدمان وغيرهم.

وعالمة الإسلام تقوم علي عدد من المبادئ الهامة وهي:[66]

1 – الحرية الدينية، قال تعالى: «لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ «(80)، ويقول في آية أخرى: «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ»[67].

2 – التعايش المادي مع كل الملل: حيث تعايش المسلمون مع النصارى واليهود وأهل الملل الأخرى، بل وكانوا يعملون في الدواوين والأعمال الحكومية منذ عهد معاوية، ووصلوا إلي درجة الوزارة في عهد الدولة البويهية، وكان أهل الذمة يدفعون الجزية التي لم تكن ضريبة دينية بل كانت ضريبة دفاع، يؤديها – وحده – القادر علي حمل السلاح نظير إعفائه من التجنيد.

3 – التعايش الفكري مع غير المسلمين: نقل فيه الأخيرون إلي المسلمين كنوز العلوم والفلسفة عن اليونان وغيرهم من الفرس والهنود، وسرعان ما استوعبوها، وأضافوا إليها إضافات باهرة، وظلوا يقودون الحضارة العالمية العلمية والفلسفية زهاء ستة قرون.

4 – عقلانية الإسلام: حيث أعلي من قيمة العقل، وحث الناس علي استخدام عقولهم لتدبر آياته «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ»[68]، وأمر المسلمين بنبذ الخرافة والسحر والتنجيم والكهانة ارتقاء بعقل الإنسان عن الاعتقاد في الأباطيل.

5 – معانقة الإسلام للعلم: وأول كلمات نزلت علي سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – هي دعوة إلي العلم والقراءة:» اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ «[69]، وطلب الله من رسوله أن يسأله ليزيده من العلم «وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً «[70]، وفضل العلماء علي غيرهم «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ»[71].

وحث المسلمين علي اكتشاف أسرار الكون من خلال آيات كثيرة وردت بهذا الشأن.

6 – العدل: وهي من أهم مبادئ الدين الإسلامي والذي لا تقوم الحياة إلا به، العدل في القضاء بين الخصوم والعدل الاجتماعي بين الفقراء والأغنياء والعدل في الشهادة، والكيل والموازين، وفي علاقة الإنسان بأسرته وجيرانه وأقاربه، وجعل الله هذه الأمة أمة وسطاً – أي عدلا – يتوسطون في كل شئ في العبادات والصدقات فلا إفراط ولا تفريط.

7 – المساواة بين البشر جميعاً في الحقوق والواجبات والحقوق العامة، مهما اختلفت الأجناس والأعراق والألوان، ونهي الإسلام عن أي شكل من أشكال الطبقية، وليس في الإسلام أي شكل من أشكال الكهنوت أو طبقة رجال الدين، والمسلمون جميعهم متساوون في تطبيق الحدود، حتى أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قال: «والذي نفس محمد بيده لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها».

8 – التسامح: بين بعضهم البعض وبين أصحاب الديانات والملل الأخرى، وأعظم مثال لذلك تسامح نبي هذا الدين مع من آذوه وأخرجوه من دياره وتآمروا علي قتله حين قدر عليهم في فتح مكة وقال لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، واستوعب المسلمون كثيرا من أصحاب الديانات الأخرى الذين تعايشوا معهم لفترات طويلة، وكان التسامح هو اللغة المشتركة فيما بينهم.

9 – ترابط الأسرة: حيث يحكم الإسلام الروابط في الأسرة المسلمة، فلا تنفك أبداً كأساس لبناء المجتمعات، وفي مقدمة هذه الروابط البر المتصل بالآباء والأبناء، وقدسية علاقة الزوجية، وقيامها علي أساس من المودة والرحمة وحرمة اختلاط الأنساب، كما سوى الإسلام بين الرجل والمرأة في الحقوق والمسئوليات السياسية والاجتماعية، وفي الكسب لمعاشها مما جعلها تتولى جميع الأعمال حتى الوزارات، بل حتى رياستها في بعض البلاد الإسلامية، وكفل لها استقلالا اقتصاديا لم تظفر به المرأة الغربية حتى اليوم.

10 – السلوك القويم: حيث يدعو الله دعوة عالمية كبري إلي التمسك بالسلوك القويم المتمثل في مجموعة كبيرة من الفضائل، منها استخدام العقل والشغف بالعلم والعدل والمساواة بين البشر، والتسامح مع كل الملل، ومنها فضيلة العمل، حتى لا يكون الإنسان عالة علي المجتمع والوفاء بالعهد والرحمة بالإنسان والحيوان، حتى ليسمى الإسلام دين الرحمة، ومن ذلك الشعور بالكرامة وقول الحق والصدق والتواضع الحميد، والحياء، والصبر، والحلم، والعفو، ورعاية اليتيم، ودعا الله البشرية والمسلمين إلي نبذ الموبقات مثل الزنا، وشرب الخمر ولعب القمار، والربا، والكبر، وشهادة الزور، والظلم، والكذب، والحسد، والخداع، والسب للإنسان والحيوان، والسخرية، والطعن في الناس، والظن السيئ، والتجسس، والغيبة، والنميمة، والشماتة، وكثير من الرموز الدالة علي السلوك القويم، مما يضيق المقام بسببه.

وإذا أمكن القول إن قيم الديمقراطية – من منظور قضية العولمة – تعد ذات طابع عالمي باعتبارها قيما إنسانية عامة وثيقة الارتباط بالتطور الإنساني، فإن الدين الإسلامي الذي يعد في نظر اتجاه بارز في الغرب بمثابة العدو الجديد للحضارة الغربية وذلك في أعقاب انهيار الشيوعية، هذا الدين لم يقر القيم التي تتضمنها الديمقراطية المعاصرة فحسب، بل رفع بعضها إلي مرتبة التكليف الشرعي [72].

وباستعراض آيات القرآن الكريم سنجد أن الشورى ليست ضربا من الرفاهية، وليست خيارا لجماهير المسلمين لهم أن يأخذوا به أو يطرحوه جانبا، يقبلون العمل به أم يرفضون، ذلك أن الله جعل الشورى واستطلاع الرأي العام والرجوع إليه في مختلف الأمور التي تهم جماعة المسلمين من أبرز المبادئ الإسلامية التي أوجبها الله علي المسلمين جميعاً حكاماً ومحكومين، أقوياء وضعفاء، أغنياء وفقراء، قادة وتابعين، بل إن الله – عز وجل – قد قرن نظام الشورى بالصلاة والصدقة ليدل علي أن الشورى بين ولاة الأمر من أسس الإسلام، وأن الاستبداد بالرأي ليس من الإسلام في شئ[73]، وذلك في قوله تعالى: «وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ»[74]، وذلك علي الرغم من ادعاء منظر العولمة الأمريكي الشهير فرانسيس فوكوياما الذي يعتبر الرأسمالية نهاية التاريخ، أن الديمقراطيات كانت من الندرة بحيث لم يكن لها وجود أصلاً في أي دولة في العالم قبل عام 1776 م، أي قبل الديمقراطية الأمريكية، بما في ذلك الديمقراطية الأثينية حيث أنها لم تكن تحترم حقوق الفرد دائما[75].

وبمناقشة هذا الرأي بهدوء نري أن الأيديولوجية الليبرالية مركز العولمة وجوهرها الديمقراطية علي المستوى السياسي يمكن تعريفها بأنها قاعدة قانونية تعترف بحريات وحقوق معينة للفرد غير خاضعة لسيطرة الحكومة، وفي التعريف الوارد في كتاب لورد برايس الشهير عن الديمقراطية يحدد حقوق الأفراد فيما يلي:

1 – الحقوق المدنية: أي تحرير شخص المواطن وممتلكاته من سيطرة الحكومة.

2 – الحقوق الدينية: أي السماح بحرية التعبير عن الآراء الدينية وممارسة العبادة.

3 – الحقوق السياسية: أي تحرير المواطن من سيطرة الحكومة في الأمور التي لا يبدو بوضوح أنها تؤثر في صالح المجتمع كله تأثيرا يحتم تدخل الدولة، وتتضمن هذه الحقوق الأخيرة حرية الصحافة باعتبارها حقا أساسيا[76].

وبمطابقة هذه الحقوق مع الحقوق التي أقرها الإسلام، نجد أن الإسلام لا يعترض علي أي من هذه الحقوق، بل ينادي بها، ويؤكد علي احترامها، فهو لم يجعل لأحد سلطانا علي أحد، بل الكل متساوون، ودعا إلي التعايش مع أصحاب كافة الملل والتسامح معهم، وسجل التاريخ الإسلامي صورا رائعة من هذا التعايش مع احترام حرية العقيدة وصيانة مقدساتها، كما أن الحقوق السياسية مكفولة في الإسلام بما لا يتعارض مع الصالح العام للمجتمع، وهو ما جاء في تعريف لورد برايس عن الحقوق.

كما أن زعم فوكوياما أنه لا ديمقراطيات قبل

الديمقراطية الأمريكية هو تحيز وتعصب يتنافى مع موضوعية البحث العلمي وحياده.

ولم تقف مزاعم فوكوياما عند هذا الحد، بل ادعي أن الإسلام وقف كعقبة كبيرة في وجه تطبيق الديمقراطية في عدد من أقطار الشرق الأوسط مثل مصر والأردن بحجة أن الديمقراطية تهيئ لما أسماه بالأصوليين الإسلاميين فرصة الوصول إلي الحكم، فهو يضع الديمقراطية في كفة، والإسلام في الكفة المقابلة، و هو أمر غير صحيح فكثير من المبادئ الليبرالية العادلة ينادي بها الإسلام ويتفوق علي أي فلسفة أو نظام بأن نظرته أشمل وأعدل وأعمق نظراً لأنه نظام إلهي محكم.

وفوكوياما ناطق بلسان الجبهة التي تجعل الإسلام العدو القادم للغرب رغم خطأ هذه المقولة، فهو - طبقا لكلامه – خطر علي الليبرالية الغربية وعلي العولمة، رغم اعترافه بشموليته وسموه، حيث يقول: «صحيح أن الإسلام يشكل أيديولوجيا متسقة ومتماسكة شأن الليبرالية والشيوعية، وأن له معاييره الخاصة به، ونظريته المتصلة بالعدالة السياسية والاجتماعية.

كذلك فإن للإسلام جاذبية يمكن أن تكون عالمية، داعيا إليه البشر كافة باعتبارهم بشر لا مجرد أعضاء في جمعية عرقية أو قومية معينة، وقد تمكن الإسلام في الواقع من الانتصار علي الديمقراطية الليبرالية في أنحاء كثيرة من العالم الإسلامي، وشكل بذلك خطراً كبيراً علي الممارسات الليبرالية حتى في الدول التي لم يصل فيها إلي السلطة بصورة مباشرة [77].

ويواصل شهادته مع وضد الإسلام بقوله: بالرغم من القوة التي أبداها الإسلام في صحوته الحالية فبالإمكان القول أن هذا الدين لا يكاد يكون له جاذبية خارج المناطق التي كانت في الأصل إسلامية الحضارة! وقد يبدو أن المزيد من التوسع الحضاري الإسلامي قد ولى! فإن كان بوسع الإسلام أن يكسب من جديد ولاء المرتدين عنه فهو لم يصادف هوى في قلوب شباب برلين أو طوكيو أو موسكو، ورغم أن نحو بليون نسمة يدينون بدين الإسلام أي خمس تعداد العالم فليس بوسعهم تحدى الديمقراطية الليبرالية في أرضها علي المستوى الفكري. أ.هـ [78].

أي أن عولمة الإسلام لم تتحق كما يزعم فوكوياما، لأنه لن يصادف هوى في قلوب شبابهم، بينما يقول الدكتور هيستون سميس Huston smith أستاذ الفلسفة بالجامعات الأمريكية ومحرر أبوابها في المجلات الأدبية في كتاب الديانات

«إن الإسلام في هذا العصر – كما كان في العصور الماضية – أسرع الأديان إلي كسب الأتباع المصدقين، وإنه علي الرغم من قلة دعاته وكثرة الدعاة إلي المذاهب المسيحية تكاد نسبة الداخلين فيه بين الأفريقيين مثلاً تساوي نسبة عشرة إلي واحد ممن يتحولون عن عقائدهم البدائية إلي الأديان الأخرى، ويؤكد علي أن مصادر الإحصاء الرسمية في بعض الأحيان تتعمد المبالغة في الإقلال من عدد المسلمين، وهو أمر غير صحيح [79].

كما أن الإسلام لا يدخل في تحد مع أية دعوة أو فكرة أو أيديولوجية إلا إذا أهملت قيم العدل والمساواة والسلوك القويم، أو انحرفت في تطبيقها.

وصموئيل هنتنجتون صاحب مقولة (صدام الحضارات) الشهيرة يعترف بأن الحضارة الغربية أخذت مقومات تفوقها من الحضارة الإسلامية فيقول:

بدأت المسيحية الغربية في الظهور كحضارة مائزة في القرنين الثامن والتاسع، وظلت عدة قرون متخلفة عن عدة حضارات أخرى في مستواها الحضاري كالصين تحت حكم أسر تانج و سانج و ميج، والعالم الإسلامي من القرن الثامن إلي القرن الثاني عشر، والبيزنطيون من القرن الثامن إلي القرن الحادي عشر، كل أولئك كانوا متفوقين علي أوربا في الثروة والاتساع والقوة العسكرية والإنجازات الفنية والأدبية والعلمية، وبين القرنين الحادي عشر والثالث عشر بدأت الثقافات الأوربية في التقدم، وقد سهل ذلك استيعاب منظم ومتحمس لعناصر ملائمة من الحضارة الإسلامية والبيزنطية العراقية، مع تطويع ذلك الميراث لظروف ومصالح الغرب الخاصة [80].

النتائج العامة للدراسة

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج الهامة:

أولا: أن الحضارة الإسلامية حضارة رائدة، وأنها قادرة على استيعاب المتغيرات الدولية المعاصرة والاستفادة منها، وتوظيف ما فيها من جوانب إيجابية لصالح المجتمعات الإسلامية.

ثانيا: أن ظاهرة العولمة ظاهرة غربية المركز، وتحاول تنميط العالم وفق نموذج واحد هو النموذج الغربي، وأنها تنطوى على محاولات الهيمنة من الغرب بشكل عام والولايات المتحدة الأمريكية بشكل خاص.

ثالثا: أن للعولمة مجالات متعددة كالسياسة والاقتصاد، بيد أن أخطر مجالاتها هو المتعلق بالشق الثقافي والإعلامي لتأثيراته الشديدة على الأمم الشعوب، وأن الحضارة الإسلامية استطاعت التعامل مع هذه التحديات بما يتناسب وحجم وقيمة هذه الحضارة العظيمة.

رابعا: أن أبرز تحديات العولمة في المجال الثقافي تهديد الهويات الذاتية والخصوصيات الثقافية، والتبعية القافية للثقافة الغربية، وتعرض بعض الثقافات المحلية للاختراق ومحاولات التغريب.

خامسا: أن العولمة في مجال الإعلام تعني هيمنة الشركات الأمريكية على قطاع الإعلام والاتصال والترفيه، وتراجع دور الدولة في النظام الإعلامي الدولي، وبالرغم من تعدد البدائل المتاحة لدى الجماهير إلا أن الإعلام المعولم لا يشكل نظاما دوليا متوازنا.

سادسا: أن الحضارة الإسلامية تملك من المقومات ما يمكنها من التغلب على تحديات العولمة في شقها الثقافي والإعلامي، وذلك إذا ما استفاد لمسلمون من إيجابيات العولمة، وقاموا بوضع الخطط والآليات التي تحد من سلبياتها.

سابعا: أن أحد أهم سمات الحضارة الإسلامية أنها عالمية النزعة، وأنها تهدف لصالح البشرية جمعاء، وتهدف إلى نشر القيم الإنسانية والمساواة وصيانة الأسرة واحترام كل الفئات.

ثامنا: توصلت الدراسة إلى أن أهم مبادئ عالمية الحضارة الإسلامية الحرية الدينية، والتعايش المادي مع كل الملل، والتعايش الفكري مع غير المسلمين، وعقلانية الإسلام، ومعانقته للعلم، والعدل والمساواة بين جميع البشر في الحقوق والواجبات، والتسامح، وترابط الأسرة، والسلوك القويم.

تاسعا: أن الحضارة الإسلامية ترفض رفضا مطلقا مقولات صدام الحضارات، وترفض إقصاء الآخر، بل تعتمد الحوار الهادف للتعايش مع سائر الحضارات والثقافات.

الهوامش:

1- Ronald Robertson، 1987، Globalization and Socited Modernisation en Japan and Japanise Religion in: Sociological Analysis، P.97.

2 – رونالد روبرتسون، العولمة: النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية، ترجمة: أحمد محمود، ونورا أمين (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1998) ص 8.

3- Anthony Giddens ، 1990 ، The Consequences of modernity ، Stanford، Stanford University Press ، P. 53.

4 – جورج لودج، إدارة العولمة في عصر الاعتماد المتبادل، ترجمة: محمد رؤوف حامد، سلسلة كراسات عروض، اجتهادات حديثة حول العلم والمستقبل (القاهرة، المكتبة الأكاديمية الطبعة الأولى، 1999) ص 12.

5 – السيد يسين، العالمية والعولمة (القاهرة، دار نهضة مصر، 2000)، ص 96.

6 – محمد شومان، عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامي العربي، مجلة عالم الفكر، مرجع سابق، ص 158.

7 – علي حرب، حديث النهايات: فتوحات العولمة ومآزق الهوية (بيروت: المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 2000) ص 29.

8 – السيد يسين، مرجع سابق، ص 92.

9 – إسماعيل صبري عبد الله (وآخرون)، العولمة: هيمنة منفردة في المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية (القاهرة: دار جهاد للطباعة والنشر والتوزيع، 1999) ص 43.

10 – السيد يسين، مرجع سابق، ص 93.

11 – إبراهيم نافع، انفجار سبتمبر بين العولمة والأمركة (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، 2002)ص 90.

12 – د. حامد عمار، ثقافة جديدة لعصر العولمة، جريدة الأهرام بتاريخ 11، يونيو، 2000.

13 – مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط (القاهرة، ط 2، 1972) ص 98.

14 – مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي (القاهرة) 19979) ص 58.

15 – صمويل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، ترجمه طلعت الشايب (القاهرة) سطور، الطبعة الثانية، 1999م) ص 69.

16 – السيد يسين، العولمة والطريق الثالث (القاهرة: طبعة مكتبة الأسرة، 1996) ص 30.

17 – د. حيدر إبراهيم، العولمة وجدل الهوية الثقافية ، مجلة عالم الفكر، المجلد 28، العدد الثاني (أكتوبر – ديسمبر 1999) ص 97، 98.

18 صمويل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مرجع سابق، ص 75 وما بعدها.

19 – صمويل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، مرجع سابق، ص

20 – جورج لودج، مرجع سابق، ص 19.

21 – سورة الحجرات، الآية رقم (13).

22 – محمد إبراهيم الفيومي، صراع الحضارات أم صراع الأنواع، جريدة صوت الأزهر، بتاريخ 20أكتوبر 2000 م

23 – السيد يسين، العولمة والطريق الثالث، مرجع سابق، ص 30.

24 – محيي الدين عبد الحليم، العولمة وثوابت الأمة، جريدة صوت الأزهر، بتاريخ 22 أكتوبر 1999.

25 – محمد الغزالي، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا (القاهرة: دار الشروق، الطبعة الأولى، 1998) ص 32.

26 – مصطفي عبد الغني، الجات والتبعية الثقافية، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999)، ص 44.

27 – صمويل هنتنجتون، صدام الحضارات، مرجع سابق، ص 492.

28 – السيد يسين، العالمية والعولمة، مرجع سابق، ص 4.

29- Foreign Affairs، Council on Foreign Relations ، Marsh – April ، 1996 ، P.86.

30- Gerd G.Schenkel ، Columbia pusiness school، New York ، 1998. P.160.

31 – محمد شومان، مرجع سابق، ص 160.

32 – المرجع نفسه، ص 160.

33 – محمد شومان، عولمة الإعلام والهوية الثقافية العربية، بحث مقدم إلى ندوة العولمة وقضايا الهوية الثقافية (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة 12 – 16 إبريل 1998).

34 - محمد شومان، عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامي العربي، مرجع سابق، ص 171.

35 - طلعت رميح، كلمة في مؤتمر الإسلام والعولمة (القاهرة: 29، 30 يونيو 1998) منشوره في كتاب الإسلام والعولمة (القاهرة: الدار القومية العربية، 1999) ص 56.

36 - محمد عمارة، أبعاد العولمة وميادينها، جريدة صوت الأزهر، العدد 34 (15 صفر 1421 هـ – 19 مايو 2000م).

37 - مالك بن إبراهيم الأحمد، العولمة في الإعلام، مجلة البيان (لندن: ذو الحجة 1420 هـ – مارس 2000 م).

38 - محمد إبراهيم مبروك، الإسلام والعولمة، مصدر سابق، ص 105.

39 - محمد عمارة، المصدر نفسه، 119.

40 - سورة آل عمران، الآية رقم 64.

41 - جمال البنا، الإسلام والعولمة، مصدر سابق، ص 146.

42 - محي الدين عبدالحليم، الرسالة الإعلامية بين العالمية والعولمة، بحث في ندوة الإعلام الدولي وقضايا العالم الإسلامي (القاهرة: رابطة الجامعات الإسلامية، 1998م)، ص 7.

43 - محمود حمدي زقزوق، الإسلام في عصر العولمة، سلسلة قضايا إسلامية، المجلس الأعلي للشئون الإسلامية (القاهرة: 1999) ص 14.

44 - محمد الغزالي، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا (القاهرة: دار الشروق، الطبعة الأولى، 1998) ص 102.

45 - يوسف القرضاوي، المسلمون والعولمة (القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية 2000) ص 6.

46 - محي الدين عبدالحليم، مصدر سابق، ص 12.

47 - جريدة صوت الأزهر، العدد 28، بتاريخ 7 أبريل 2000 م.

48 - محمد السيد الجليند، المسلمون وفقه السنن الإلهية، من كتاب الإسلام والعولمة، مصدر سابق، ص 46.

49 - سورة ص، الآية 87.

50 - سورة التكوير، الآيات 25، 26، 27.

51 - سورة نوح، الآية 1.

52 - سورة العنكبوت، الآية 16.

53 - سورة الشعراء، الآية 160.

54 - سورة هود، الآية 50.

55 - سورة هود، الآية 61.

56 - سورة هود، الآية 84.

57 - سورة الصف، الآية 6.

58 - سورة الأعراف، الآية 158.

59 - سورة الأعراف، الآية 158.

60 - سورة يوسف، الآية 104، سورة ص الآية 87، سورة التكوير، الآية 27.

61 - سورة القلم، الآية 52.

62 - سورة الأنبياء، الآية 107.

63 - شوقي ضيف، عالمية الإسلام (القاهرة: دار المعارف، 1999) ص 14.

64 - سورة النساء، الآية 1.

65 - سورة الحجرات، الآية 13.

66 - شوقي ضيف، عالمية الإسلام، (القاهرة: دار المعارف ، 1999م)، ص 3 وما بعدها بتصرف.

67 - سورة البقرة، الآية 256.

68 - سورة يونس، الآية 99.

69 - سورة آل عمران، الآية 190.

70 - سورة العلق، الآيات من 1: 5.

71 - سورة طه، الآية 114.

72 -سورة الزمر، الآية 9.

73 حسنين توفيق إبراهيم، العولمة: الأبعاد والانعكاسات السياسية، مجلة عالم الفكر، السنة 28، العدد 2 (1999م) ، ص 206.

74 - محيى الدين عبدالحليم، الرأي العام في الإسلام (القاهرة: دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، 1990) ص 69.

75 - سورة الشورى، الآية 38.

76 - فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر ، ترجمة حسين أحمد أمين (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1993م)، ص 91.

77 - المصدر نفسه، ص 54.

78 - المصدر نفسه، ص 56.

79 - المصدر نفسه، ص 56.

80 - عباس محمود العقاد، الإسلام دعوة عالمية (القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1999) ص 115.

81 - صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، مصدر سابق ، ص82.

الشعريات
وقضاياها المعرفية..

(منظور عبد الملك مرتاض نموذجاً)

محمد سيف الإسلام بو فلاقة

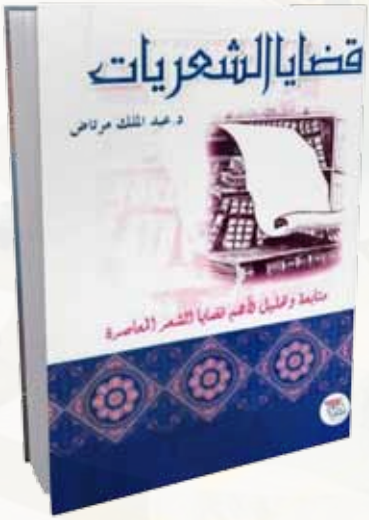

عنوان الكتاب: قضايا الشعريات
المؤلف: د.عبد الملك مرتاض
منشورات دار القدس العربي للنشر والتوزيع،
وهران، الجزائر، ٢٠١٢م.
عدد الصفحات: ٤٢٣.

– محمد سيف الإسلام بوفلاقة: كاتب وباحث جزائري. نشر كثيراً من المقالات في مجلات وطنية وعربية كثيرة.

حظي مفهوم الشعريات في السنوات الأخيرة بعناية فائقة من قبل الباحثين والدارسين، فأفردت لها دراسات ورسائل جامعية، وأبحاث ضمن دراسات الأدب القديم والحديث، وقد برز هذا الاهتمام في النقد ومفهوم «الشعرية أو الشعريات» الذي لقي اهتماماً كبيراً في الفترة المتأخرة، سواء في النقد العربي والأجنبي، له جذور تراثية قديمة وآفاق غربية معاصرة. وهذا الاهتمام بوصفه مصدراً صناعياً لا على صيغة النسب هو ما يعطيه طرافته وطزاجته النقدية، وإلا فالكلمة مبتذلة وشائعة.

أرسطو كان يتحدث عن جوهر الشعر الحقيقي وما يلتبس به من المحاكاة والتخييل، واستخدمه بهذا المعنى عدد من نقاد العرب بنفس الصيغة مثل حازم القرطاجني(ت 684هـ)، وشراح أرسطو من فلاسفة الإسلام كالفارابي وابن سينا وابن رشد.

وظهر مصطلح الشعريات في النقد الغربي الحديث ورثاً شرعياً للبنيوية والأسلوبية ليردها إلى الوظيفة الشعرية في الخطاب اللغوي بعد أن تعاظم الاهتمام في المناهج السابقة (بالشفرة) اللغوية وكيف انبثقت إلى الوجود؟ أي باللغة نفسها بوصفها دالاً، لا لما تحمله من مدلولات، وهناك عدد من المصطلحات العربية التي ترجم إليها المصطلح مثل (الإنشائية) و(الأدبية) وغيرها.

وتبحث الشعرية عن قوانين الخطاب الأدبي، وعن الخصائص المجردة التي تصنع فرادة العمل الأدبي، بما يجعل من الرسالة اللغوية عملاً أدبياً (شعرياً) ثم أخذت معنى أوسع لتعني ذلك الإحساس الجمالي الخاص الناتج عن القصيدة أو عن نص أدبي، أي بعبارة أخرى تعني قدرة العمل على إيقاظ المشاعر الجمالية، وإثارة الدهشة وخلق الحسن بالمفارقة، والانزياح عن المألوف[1].

إن البحث في مفهوم «الشعرية» قد يبدو أمراً ميسوراً «إذ الظاهر أن هذا المفهوم قد قُتل درساً، وقُضي منه الوطر عند كثير من نقاد الأدب، فالباحث سيجد لا محالة مقالات متنوعة في الموضوع، وكتباً هنا وهناك تناقش المفهوم وتتفنن في عرض أصوله وامتداداته، أو طرائق اشتغاله. وقد يسارع البعض عندما يُسأل: ما الشعرية؟ إلى القول إنها علم الأدب، أو قوانين الخطاب الأدبي، أو إنها نظرية عامة للأشكال الأدبية.

ولكن عند التعمق في البحث في هذا المفهوم، سيبدو أن الظاهر غير الباطن، وأن الرائي غير السامع، إذ البحث في قوانين الخطاب الأدبي من السهل الممتنع، فأن تسمع به أهون من أن تراه، أو تُكابد عناء البحث فيه، فالأدب كائن متجدد يفرض دائماً تجدد قوانينه وتحيينها، مما يجعل تفسير تلك القوانين في كل مرحلة أدبية أو في كل جنس أدبي، أمراً بالغ الصعوبة وبعيد المنال»[2].

من خلال هذا البحث نسعى إلى الوقوف مع واحد من الكتب المتميزة في هذا المجال، وهو كتاب «قضايا الشعريات» للناقد الدكتور عبد الملك مرتاض، الذي يكتسي أهمية خاصة، حيث تتجلى أهميته في جمعه بين النظرية والتطبيق، وفي تحليله بعمق وشمولية للكثير من قضايا الشعر المعاصرة، وتقديمه مسحاً شاملاً لمفهوم الشعريات في الفكر النقدي العربي، والفكر النقدي الغربي، كما يبحث الكتاب باستفاضة وعمق في بنية اللغة الشعرية وحيزها، والصورة الشعرية وجمالية الإيقاع.

قسم الدكتور عبد الملك مرتاض كتابه إلى ثمانية فصول أضاء فيها بمنهجية سليمة، وأسلوب ممتع على الكثير من القضايا الهامة.

فقد خصص الفصل الأول للحديث عن «مفهوم الشعريات في الفكر النقدي العربي»، ومن أبرز ما نبه إليه في هذا الصدد أن النقاد العرب في العصر الحديث يُطلقون مصطلح «الشعرية»، وهم يريدون به غالباً ما يريد به النقاد الغربيون من وراء إطلاقهم مفهوم «الشعريات» التي تتفرع وظيفتها إلى حقلين اثنين:

فهي تأتي بمعنى دراسة جنس الشعر من حيث هو وحدَه، أو الدّلالة على الانتماء إليه. وقد كان الشعر بمعناه المحصور هو وحده المتَّخَذَ موضوعاً للشعريّات وعنايتها، وذلك ما يُفهم من شعريّات أرسطو منذ قريب من خمسة وعشرين قرناً. وقد ظلّ ذلك قائماً إلى القرن التّاسع عشر، وذلك بحكم المعنى الاشتقاقيّ للشعريّات المتفرّعة عن الشّعر نفسه.

كما تأتي بمعنى «النّظريّة العامّة للأعمال الأدبيّة» بعامّة، وقد يستبين هذا المفهوم من خلال عنوان المجلّة الفرنسيّة

الشهيرة المتخصّصة في النّقد، وهي «شعريّات: مجلّة النظريّة والتحليل الأدبيّ مما يصرف دلالتُها المفهوميّة إلى كلّ الأجناس الأدبيّة فتتسلّط عليها بالمعالجة الإجرائيّة، فيقترب معناها من معنى «الأدب» بمفهومه العامّ»[3] (منذ القرن التاسع عشر. وهذا وسَّع مساحة دلالة الشعريات المفهومية، وانفتحت على جميع الأجناس الأدبية، فاقتربت من معنى «الأدب». وبالنسبة إلى النقاد العرب القدامى، فقد توقف المؤلف مع مفهوم الشعريات باستفاضة عند كل من: ابن سلاّم الجمحي، والجاحظ، وابن قتيبة، وابن طباطبا، وقُدامة بن جعفر، والجرجاني، وابن رشيق القيرواني، وحازم القرطاجني.

في الفصل الثاني من الكتاب قدم المؤلف متابعة شاملة لـ «مفهوم الشعريات في الفكر النقدي الغربي»، وقسمها في متابعته لها إلى منظورين:

المنظور الأول يتزعمه أصحاب الرؤية التقليدية الذين ينظرون إلى الشعر على أنه أنواع ثلاثة: ملحمي، وغنائي، ودرامي، وهم ينتمون إلى القرون الأولى من عصر النهضة، وتضاف إلى هذا الأمر مجموعة من الشروط الأدبية التي تتسم بالقسوة، والتي كانوا يشترطون مثولها في النسج الشعري الذي يعترفون بجماليته ورقيه، ومن أبرز هذه الشروط: رفعة اللغة وجمالها وأناقتها، والاستعانة بأضرب الاستعارة والمجاز لتحسين النسج الشعري.

والمنظور الثاني يروجه له أصحاب الرؤية الحداثية، وهم النقاد الجدد الذين برزوا مع انطلاقة منتصف القرن التاسع عشر، فهم يذهبون في تقييمهم للرؤى المقدمة من قبل النقاد القدامى إلى أنها غير لائقة بتقاليد العصر التكنولوجي، ومن بين الذين ناقشوا هذا الأمر: أندري جيد (1869-1951م) الذي تساءل: أتريدون تعريفاً جيداً للشعر؟ إني لا أرى تعريفاً سليماً غير الذي يأتي: وهو أن الشعر يعمل على المضي نحو السطر قبل نهاية الجملة، ويعتبر جان كوهن من أفضل النقاد الفرنسيين الذين تناولوا الشعريات في أدق تفاصيلها، مركزاً على الجوانب الإيقاعية والدلالية، ومن ثم الجمالية التي تتجلى في وضوح الرؤية، ودقة التعبير، وصرامة المنهج.

كما أرجع جان كوهن التحولات الكبرى التي عرفتها الشعريات إلى الرومانسية، كونها نقلت مسار الشعر من العلة التي كانت الكلاسيكية تعلل بها الأشياء التي تخضعها لمنطق العقل، إلى فعل التلقي والآثار الجمالية في النفس على الوجه الطبيعي بعيداً عن العقل، فالوجدان والعاطفة هما الأساس بعد إلغاء سلطان العقل على الشاعر والقارئ.

ووفق منظور جان كوهن فاللغة الشعرية تحلل في مستويين اثنين: مستوى صوتي، ومستوى دلالي، والشعر يتعارض مع النثر بسبب الخصائص الماثلة في المستويين المذكورين، ويمكن عرض رؤية جان كوهن في الآتي:

1. الشعر أولاً يأتي مناقضاً للنثر، وهذا المفهوم متداول بين الناس منذ الأزل، وفي جميع الآداب الإنسانية، فالاختلاف بين النثر والشعر طبيعة لسانياتية، أي شكلية.

2. أهم ما يميز بين الشعر والنثر هو المستوى الصوتي، بحيث يتميز الشعر بالقعقعة الصوتية المتجسدة في تماثل الميزان العروضي، وفي القافية، وفي استثمار كل الخصائص الصوتية الأخرى.

3. الجمهور بحكم أنه تعود على شكل من النسج اللغوي موروث، قد فتح عينيه عليه منذ العصور الموغلة في القدم، يحكم بشعرية هذا النسج، أو عدم شعريته، انطلاقاً من هذا المعيار المأثور الذي يقوم على مستويين اثنين، و لا يحاول أن يجاوز ذلك إلى ما خلفهما من الآفاق والحدود، فإنما البحث في ذلك لا يعني إلا النقاد المتخصصين والشعراء المبدعين[4].

أما سارتر (1905-1980م) فقد كان يرى أنه لا

أحد أجمل قولاً من مالارمي، وفي نظره أن الشعر هو محاولة سحرية لتكونه، ولكن عن طريق التلاشي المرتعش للفظ، وذلك بمزايدة الشاعر على عجزه التعبيري حينما يجعل الألفاظ مجنونة، فالغاية الكبرى-كما يرى سارتر-منذ مالارمي إلى السرياليين هي التدمير الذاتي الذي يتسلط على اللغة.

ومن أبرز الذين ركزوا على اللغة الشعرية «ميكائيل ريفاتير» الذي ذهب في تحديده لها إلى أنها تختلف كل الاختلاف عن الاستعمال اللساني المشترك، وهو ما يعرفه عامة القراء إلماماً بالفطرة، وقد ركز تركيزاً منهجياً على مفهوم اللغة الشعرية، وأشار إلى أن الشعر الرفيع في مختلف الأزمنة والأمكنة، وفي جميع الآداب الإنسانية لا يرغب في البوح بما يريد أن يقول، وعلى القارئ أن يبحث عن الدلالة الحقيقية بعيداً عن المقاصد القريبة.

تطرق المؤلف في الفصل الثالث من الكتاب إلى الكثير من القضايا الفكرية والفلسفية التي ترتبط بـ «الوظيفة الاجتماعية والجمالية للشعر»، فتوقف مع وظيفة اللغة الشعرية التي تتميز بتعددية وظائفها الدلالية، وعرض مجموعة من المفاهيم المتنوعة التي ترتبط بالوظيفة الشعرية، وتساءل في هذا الصدد؟هل نعود بالشعر إلى نظرية الفن للفن، فلا يكون له أي نفع في المجتمعات الراقية من وجهة، أو نعود به إلى النظرية الفلسفية الأمريكية المادية التي لا ترى الحقيقة إلا في الشيء النافع للناس، نفعاً مادياً، فعلاً، من وجهة أخرى؟وكيف يكون الشعر الجميل كذلك وهو يعبّر عن آمال الناس، ويصوّر آمالهم، ويصف شقاءهم في صدق وجمال؟ وهل يكون من حق أيّ أحد من الناس أن يحرم الشعر من أداء وظيفته الجمالية والثقافية والاجتماعية معاً؟

يذهب المؤلف إلى أن تيوفيل كويتي فشل في تكريس نظرية الفن للفن فشلاً ذريعاً، وقد أكد السرياليون على أن وظيفة الشعر ليست على شيء، وأنها مثل الفن في تفاهتها، وفي نظرهم أن الوظيفة الشعرية محدودة التأثير، وهي أعجز من أن تُفضي إلى ثورة اجتماعية حقيقية.

ووفق منظور جان ريكاردو فاللغة الشعرية لم تعد مجرد وسيلة جميلة وأنيقة لتدبيج الشعر، كما كان هذا الأمر في أذهان النقاد القدامى، بل أصبحت غاية في نفسها، وهذا ما جعله يقترح ضرورة التمييز بين ميدانين اثنين مختلفين: مجرد النهوض بالإعلام من خلال الكتابات العادية التي لا إبداع فيها ولا خيال، والكتابات الأدبية الراقية.

يستمر المؤلف في الفصل الرابع من الكتاب في تفكيك قضايا الشعريات، حيث نلفيه يسلط الضوء على «بنية اللغة الشعرية»، ويتوقف بالتحليل والنقاش مع شعرية اللغة، وانحرافية اللغة الشعرية وانزياحها الذي له عدة أنواع أهمها: الانزياح البلاغي، والانزياح النحوي، والانزياح الوصفي، والانزياح الأسلوبي، فالانزياح – كما يعرفه المؤلف – هو الصفة الأسلوبية التي تجعل لغة كاتب من الكتّاب ذات خصوصية في إطار النظام العام للسان الذي تنتمي إليه اللغة، فقد جاء الانزياح ليكرس ثقافة التغيير الأسلوبي، وما يحدث فيه من انحراف مفاجئ لم يكن المتلقي ينتظر وقوعه.

في الفصل الخامس تحدث المؤلف عن «حيز اللغة الشعرية» الذي ما يزال الإشكال قائماً بشأنه، نظراً لعدم الإجماع عليه في الاستعمال السيميائي العربي المعاصر، ومن بين المصطلحات التي يستعملها النقاد العرب الجدد مصطلح «الفضاء» الذي يرى الدكتور عبد الملك مرتاض أنه غير دقيق، وهو يتخذ في اللغة العربية مفهوم الجو الخارجي، أما معنى «الحيز» فيشمل الخلاء والامتلاء مع بعضهما، كما أن مصطلح «الفضاء» لا يستطيع أن يؤدي كل ما ينصرف إليه في الدراسات التحليلية التي تتعلق بالأعمال السردية والشعرية.

وفي الفصل السادس حلل المؤلف باستفاضة جملة من الإشكاليات التي تتصل بـ «جمالية الإيقاع وأثرها في تذوق الشعر»، وطرح مجموعة من التساؤلات المنهجية مثل: أليس الذوق هو مجرد معنى منعزل، إذا لم يتم له معنى التذوق الذي يبعث فيه التوهج والفعل والحياة؟

وقد ذكّر الدكتور مرتاض بأفكار رومان ياكبسون حيث لاحظ أن النص الأدبي يختلف عن غيره من النصوص بمقدار ما يشتمل عليه، أو ما لا يشتمل عليه من أدبية، وتساءل الدكتور عن كيفية تذوق الشعر؟ وذهب في إجابته على هذا السؤال إلى أن اللغة التي يتذوق بها المتلقي الشعر لا ينبغي أن تكون من اللغة المصطنعة في الجرائد، وإنما المقصود بها اللغة الأدبية الرفيعة التي ترد في نسج الشعراء الكبار، فلا مناص من

أن يرتفع محصول اللغة الأدبية للقارئ، فامتلاك المحصول اللغوي والأدبي يعد من الشروط المركزية في عمليتي الفهم والتذوق معاً، فالإلمام باللغة هو مكون مركزي من مكونات الذوق، فالشعر هو لعبة لغوية قبل كل شيء، والذي لا يعرف قواعد هذه اللعبة يعسر عليه فهمه، ومن ثم تذوقه.

في الفصل السابع من الكتاب تحدث الدكتور عبد الملك مرتاض عن«الصورة الشعرية»التي أخذت عدداً كبيراً من المعاني في الثقافة الفكرية المعاصرة، وهي خلاصة الإبداع وأنقى وأرقى ما تجود به القريحة عطاءً أدبياً رفيعاً، وهي المفهوم الذي يتجلى في أروع أدبية الأدب وشعرية شعره، وهي لا تمثل سوى الحقيقة الشعرية، وهي ليست تشبيهاً أو استعارة أو كناية أو مجازاً على وجه الضرورة، بل كثيراً ما تظهر في انزياحات اللغة الشعرية المعاصرة، فهي ثمرة التصوير الفني لفكرة أو عاطفة بوساطة اللغة الشعرية، وكما يرى المؤلف «فالصورة الفنية أو الشعرية ليست نظرية مفهومية يتأسس عليها مذهب فني، ولكنها إجراء تذوقي بحيث تتمثل في كل النصوص الأدبية المزدانة بالتصوير البديع، فكما أن الذوق هو ملكة تحصل للمتلقي في تذوق جمال الكلام، فإن الصورة الفنية تقع في الذهن المتلقي، والمتصور للنص المتلقى، فيقع تمثل أطوارها التي تتجلى في شبكة النص الشعري الرفيع، فتوسّع من دائرة التذوق، وتصقل ملكة التفهم».

أما الفصل الأخير من الكتاب فقد جعله المؤلف للحديث عن «قصيدة النثر أو اللا شعر بين إشكالية الماهية والبحث عن التجنيس»، وقد عبر عن رأيه في هذا النوع من الكتابة، بأنها ليست عبارة عن تطوير للقصيدة العربية، كما أنها ليست شعراً، بل هي وفق منظوره «محاولة نثرية بدائية، وربما ساذجة للتعلق بالشعرية الضائعة، من خلال العمل باللغة والاشتغال بالتصوير».

وفي الختام بقي أن نقول إن كتاب «قضايا الشعريات» يعد واحداً من أهم الكتب التي جمعت في دراستها للشعريات بين الأصالة والمعاصرة، حيث ناقش المؤلف باستفاضة قضايا الشعريات في الفكر النقدي القديم والحديث، فالشعريات موضوع شديد البروز، وقد تناثرت إشكالياته وأسئلته في بطون المصادر والمراجع، ووقف عدد كبير من الدارسين أمامه، واختيار الدكتور عبد الملك مرتاض لدراسة قضايا الشعريات بأبعادها المتشعبة يعد خطوة جريئة وشجاعة بذل من خلالها جهداً كبيراً، وتطلبت منه الدأب والصبر والروية، وقد انتهت تلك الجهود إلى تقديم خدمة جليلة للباحثين في ميدان الشعريات وقضاياها المعرفية، فهذا الكتاب يعتبر فتحاً جديداً في هذا المجال، فقد جاءت دراسة الدكتور مرتاض غنية في أفكارها، وسلسة في أسلوبها، وجديدة في مضامينها، فالمسائل التي أجلت عنها الغموض جعلتها دعامة لأبحاث لاحقة، وفيها يلفي الباحث ما يُشبع فضوله.

الهوامش:

(1) د.إبراهيم عبد المنعم إبراهيم: بحوث في الشعرية وتطبيقاتها عند المتنبي، مكتبة الآداب، القاهرة، 2008م، ص: 02.

(2) د.حميد حماموشي: آليات الشعرية بين التأصيل والتحديث-مقاربة تشريحية لرسائل ابن خلدون-، منشورات عالم الكتب الحديث، الأردن، 2013م، ص: 11.

(3) د.عبد الملك مرتاض: قضايا الشعريات-متابعة وتحليل لأهم قضايا الشعر المعاصرة-، منشورات دار القدس العربي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص: 17.

(4) د.عبد الملك مرتاض: قضايا الشعريات-متابعة وتحليل لأهم قضايا الشعر المعاصرة-، ص: 74 وما بعدها.

نافذة على التراث.. (2-2)

إعداد: عبدالقادر محمد الزين

لانزال مع تحليق الشعراء.. ونقف الآن مع تجربة أبي تمام في الحب، قال أبو تمام:

أبو تمام، شخصية أدبية، عاش في وهو شاعر ولكنه مشهور بكتابه (ديوان الحماسة) الذي جمع فيه أشعاراً لكثير من الشعراء في هذا الباب وأقدمه لقرائنا الأعزاء وقارئاتنا الفضليات بشعره عن تجربته في الحب؛ ووفائه للحبيب:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبدا لأول منزل

لا علم بلا عمل: يدعونا الصحابي الجليل أبو الدراء إلى التعلم وإلى العمل بما نتعلم فيقول: «ويل للذي لا يعلم مرة، وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات».

وقال أيضاً: «ما لي أرى علماءَكم يذهبون، وجُهَّالكم لا يتعلمون؟ تعلَّموا فإن العالِمَ والمتعلمَ في الأجر سواء».

ما أجمل قيام الليل:

إن قيام الليل فيه نقاء وصفا ء، كما فيه مناجاة للرب العظيم.. وهو نور في الوجه، وإشراقة زاهية في الحياة الدنيا. وفي الآخرة ما جزاؤه؟

قال الإمام الأوزاعي:

من أطال قيام الليل هَوَّن ... الله عليه وقوفَ يوم القيامة

متى يكون السكوت من ذهب:

قال الإمام علي بن أبي طالب «كرم الله وجهه»:

الصمت زين والسكوت سلامة ... فإذا نطقت فلا تكن مكثارا

وإذا ندمت على سكوتي مرة ... فلقد ندمت على الكلام مرارا

نصيحة خاصة:

ابن الرومي عاش في حياته متأملاً، بعيداً عن الناس، حتى أنه دعانا إلى التقليل من الأصدقاء بقوله:

عدوك من صديقك مستفاد ... فلا تستكثرن من الصحاب

فإن الداء أكثر ما تراه ... يكون من الطعام أو الشراب

أما الشاعر المخضرم حسان بن ثابت رضي الله عنه نقلنا في هذا الباب إلى الواقع المعاش فقال:

أخِلاَّءُ الرِّجالِ هُمُ كثِيرٌ ... وَلَكِنْ فِي البلاَءِ هُمُ قَلِيلُ

فَلاَ تَغْرُرْكَ خُلَّةُ مَنْ تُؤَاخِي ... فَمَا لَكَ عِنْدَ نَائِبةٍ خَلِيلُ

وَكُلُّ أَخٍ يَقُولُ أَنَا وَفِيٌّ ... وَلَكِنْ لَيْسَ يَفْعَلُ مَا يَقُولُ

سِوَى خِلٍّ لَهُ حَسَبٌ وَدِينٌ ... فَذَاك لِمَا يَقُولُ هُوَ الفَعُولُ

توفي شاباً ولكنه يستشرف خبايا الألم بخبرة الشيوخ:

ستبدي لك الأيام ماكنت جاهلاً ... ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ويأتيك بالأخبار من لم تبع له ... بتاتاً ولم تضرب له وقت موعد

دعينا نفكر..

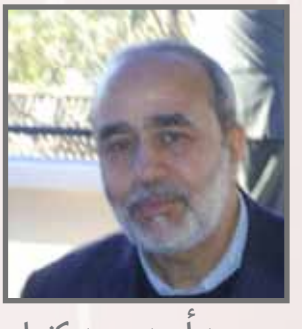

د.أحمد محمد كنعان

كان اسمها «أمل» وكان اسمه «جهاد»

تخرجا من «السوربون» في نفس الشهر

أصبح طبيباً، وأصبحت مهندسة

كانت فتاة عذبة، تحب الحياة، وتعشق البحر والسباحة إلى حد الجنون، كأن جدها كان حوتاً

وكان مثلها شاباً عذباً، يحب الحياة، لكنه على عكسها كان يعشق البراري إلى حد الجنون، كأن جدته كانت فراشة

نظرتْ إلى نهر «السين» الذي كانا يتنزهان على ضفافه فتذكرت «النيل» وأنها سوف تغادر إلى الاسكندرية بعد يومين، فالتفتت إليه بعينين دافئتين، همست: أحبك، هل تتزوجني؟

نظر إلى النهر، فتذكر «بردى»، ونظر إليها بعينين حالمتين، همس: وأنا أحبك أيضاً، لكن دعينا نفكر!

وافترقا..

بعد يومين هاتفته: أفتقدك، اشتقت إليك، هل تتزوجني؟

رد: وأنا أيضاً أفتقدك، وأشتقت إليك، لكن دعينا نفكر!

مرت أيام..

هاتفته بصوت يطير فرحاً: لقد انتصرنا، سقط الدكتاتور، أنا الآن في ميدان التحرير والدنيا لا تسع فرحتي، لقد تغير كل شيء عندنا إلا حبي لك، هل تتزوجني؟

رد عليها بصوت شجي: لقد بدأت ثورتنا، بدأ التغيير عندنا، أما حبي لك فلم يتغير، ولن يتغير، لكن دعينا نفكر!

مرت أيام..

راسلته: تقدم لخطبتي ضابط كبير، لكني أحبك أنت، ولا أتصور الزواج من غيرك، هل تتزوجني؟

رد: لكن لم يسقط الدكتاتور عندنا بعد، دعينا نفكر!

وظلت تراسله لكنه لم يعد يرد

مرَّ عام..

تزوجت هي الضابط الكبير، لكنها ظلت تفكر فيه

واستشهد هو في حمص، وكان مايزال يفكر!

بدوي الجبل

(1903 - 1981)

جاك صبري شماس

محمد سليمان الاحمد من جيل الأدباء العمالقة الرواد الكبار عرف بلقبه بدوي الجبل وينتهي نسبه إلى الأمير الغساني حسن بن المكزون السنجاري، وأول من أطلق عليه (بدوي الجبل) الأستاذ يوسف العيسى، إذْ كان يلبس عباءة عربية ويعتمر العقال المقصب، وكان ينشر له في جريدة (ألف باء) الدمشقية وهو صغير جداً.

يقول بدوي الجبل: «نشأت في بيت علم وفقه وتأثرت أول ما تأثرت بالقرآن الكريم الذي لا يمكن أن تشرق ديباجة الأديب إلا بالإدمان على تلاوته ثم تأثرت بالحديث الشريف» وكان معجباً بالثورة العربية التي تزعمها الشريف حسين. فقد ابنه عدنان وتأثر لذلك فقال:

جلاني الظلم أشلاء ممزقة ... واحتز أكبرهن: القلب والولدا

تصغي النجوم إلى نوحي فيسكرها ... يبكي الهزار ويبكي مسكراً غردا

ومن يتأمل شعره ويصغي إليه يسمع فيه صوت الخالدين من الشعراء أمثال زهير بن أبي سلمى وأبي تمام والمتنبي والمعري، ومن ينسى قصيدته المشهورة التي رددتها الحناجر العربية حيث أنشدها في نادي المثنى ببغداد عام 1940 في ذكرى الثورة العربية الكبرى:

يا سامر الحي هل تغنيك شكوانا ... رق الحديد وما رقوا لبلوانا
خل العتاب دموعاً لا غناء بها ... وعاتب القوم أشلاء ونيرانا
قل للألى استعبدوا الدنيا لسيفهم ... من قسم الناس أحراراً وعبدانا

وقال عنه الأديب مدحة عكاش رئيس تحرير مجلة الثقافة: «فشاعرنا بدوي الجبل أكرم من أن يعرف بعد أن أصبح أسمه على كل لسان وبعد أن أصبح شعره أنيس السامرين». وكان ممن قرظوا ديوان بدوي الجبل وهو في العشرين من عمره بشارة الخوري وخليل مردم بك وكرد علي والمغربي وغيرهم وتنوعت قصائد بدوي الجبل ما بين الحس الوطني والاجتماعي والغزلي والذاتي وكان مسقط رأس الشاعر في اللاذقية في قرية اسمها (ديفة) وقصدته أم كلثوم لتغني إحدى قصائده واستقبلها استقبالاً يليق بها وبفنها، ولكن الشاعر أبى أن يغير مفردة (شقراء) في قصيدته التي رغبت أم كلثوم أن تكون (سمراء) فقال لا أفعل ذلك ولن أغير لون من رأيت رغم أن لعاب الكثيرين يسيل إرضاء لأم كلثوم بأن تغني إحدى قصائدهم، وقد قال:

شقراء يا لون حسن ... محبب مستبد
ويا جمالاً غريباً ... على ظباء معد
لا وسم ليلاي فيه ... ولا ملامح هندي
ظمآن أنشد ورداً ... وعند عينيك وردي

نشأ بدوي الجبل في بيت يحفه الإيمان والبر، وأبحر في أمهات الكتب، وكان الغذاء الروحي له القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وعلوم الفقه والقضاء والعرفان، وكان من الطبيعي أن يتردد ذكر الله جل جلاله في كثير من قصائده وهذا ما نلمسه في قصيدته ابتهالات:

يا رب بابك لا يرد ... اللائذين به حجاب
مفتاحه بيدي يقين ... لا يلم به ارتياب
ومحبة لك لا تكدر ... بالرياء ولا تشاب
وعبادة لا الحشر أملاها ... علي ولا الحساب
وإذا سألت عن الذنوب ... فإن أدمعي الجواب
هي في يميني حين أبسطها ... لرحمتك الكتاب

تنقل الشاعر في بلاد عربية وأجنبية ففي قصيدته (حنين الغريب) يصف بحيرة في جنيف وسرعان ما تتلاقي مشاعر الحب والحنين إلى الوطن في وصف أخاذ يذكرنا بالبحتري وإن كان لكل شاعر صفات تميزه عن الآخر وتفرد له معجماً من الألفاظ خاصة بصاحبها، حيث يتراءى الحمى في أطياف القصيدة الرائعة الجميلة الساحرة بقوله:

وفاء كمزن الغوطتين كريم ... وحب كنعماء الشآم قديم
وأسمع نجواها على غير رؤية ... كأني على طور الجلال كليم
وما نال من إيماني السمح إنني ... (أحنُّ) لها في غربتي وهم
تبادرني عند البحيرة دمر ... وورق على أفيائها وشميم
وحيت من الروح الشآمي نفحة ... ولوع بأشتات الطيوب لموم
فوجه أريج الشام طلق منور ... ووجه بحيرات السماء قسيم

ويلتفت الشاعر إلى محراب الشعراء الخالدين ويهيم بابتكاراتهم وتحليقهم في فضاء الجنس البشري، وإذ به يعرج إلى معرة النعمان ليجسد صورة جميلة رائعة لأبي العلاء المعري قاهر الظلام ببصيرته الخارقة وببصماته الإنسانية التي أشغلت أذهان أدباء الغرب، وذلك قوله في مهرجان المعري:

لك في السرائر بدعة مرموقة ... أنس المقيم وجفوة النزاح
مجد كأفاق السماء إذا انتهت ... منه نواح بادهت بنواح
الدهر ملك العبقرية وحدها ... لا ملك جبار ولا سفاح
لا تصلح الدنيا ويصلح أمرها ... إلا بفكر كالشعاع صراح
هون عليك ففي النفوس بقية ... من رحمة ومروءة وسماح
إيه رهين المحبسين ألم يئن ... إطلاق مأسور وفك سراح

إن الشاعر يتذلل لله ويذكره في السراء والضراء ولا يريد سوى أن يقدم الطاعة والمحبة والعرفان لخالق الكون مبيناً بهدف العبادة والارتقاء بها إلى أسمى معاني النبل واليمن والخير والبركة في قصيدته الحب والله

أسمى العبادة رب لي يعذبني ... بلا رجاء وأرضاه وأهواه
وأين من ذلة الشكوى ونشوتها ... عند المحبين عز الملك والجاه
تقسم الناس دنياهم وفتنتها ... وقد تفرد من يهوى بدنياه
سما بحسنك من شكواه تكرمه ... وراح يسمو عن الدنيا بشكواه
سكبت قلبك في وجدانه فرأت ... يا عز ما شئت لا ما شاء عيناه

وفي قصيدته «هواجس» يعمل الشاعر ذهنه ويحاول أن يبحر في أعماق مجهولة يسبر أغوارها ويكشف ناظماً لهذا الكون الجميلِ عبر صور فنية جميلة ساحرة ترقى به إلى مصاف الشعراء العمالقة وهو يرتقي صرح الإيمان والخشوع في قوله مبيناً قدرة الله في خلق الكون

لم يشهد الله قلب لا لهيب به ... ويشرق الله في القلب الذي التهبا
شغفت قلبي عندك في مواجعه ... وما تمزق من قلبي وما سلبا
هواك عندي مقيم في مواطنه ... فإن تحول عن نعمائها اغتربا
أحبك الحب تأليهاً خلقت به ... على تدلهي الأحلام والرهبا
أُجلُّ بابك عن طول الوقوف به ... فقر الكريم تجلى صمته طلبا

ويشغف الشاعر بتراب وطنه ويعدد مناقبه ومزاياه وسجاياه إذ يتغنى بالعروبة وبالأجداد الميامين وروائع التراث العربي والإسلامي عبر مشاعر صادقة ونبيلة يسكبها ماء نميراً في قلوب أبناء الوطن من خلال قصيدته الرائعة (تلك واحاتنا):

سالف الشرق ملك قحطان واليوم ... لقحطان والغد المأمول
وله هذه الجبال المنيفات ... وتلك الربى وهذي السهول
قد ورثنا البحار من عبد شمس ... وعليها الغزاة والأسطول
أرز لبنان أيكة في ذرانا ... والفراتان ماؤنا والنيل
حيث يحنو الصفصاف بالنعمى على ... ألواني ويبكي على الشهيد النخيل

والشاعر في قصيدته (السراب) مصور بارع يصف السراب ويكشف أحابيله، ويلم بألوانه المتعددةويجسد الصورة الواقعية للبيئة التي عايشها الشاعر بأسلوب تصويري، وربما أوحت للفنانين التشكيليين رسم لوحات لمشهد الطبيعة في أشكالها المختلفة

حنا السراب على قلبي يخادعه ... بالوهم من نشوة السقيا ويغريه
فكيف رحت ولي علم بباطله ... أهوى السراب وأرجوه وأغليه
ويح السراب على الصحراء تسلمه ... رمالها السمر من تيه إلى تيه
يزوِّد الماء للسقيا ولهفته ... حرى إلى منهل يحنو فيسقيه
أيامه خدع للركب ضاحكة ... سخراً وللعدم القاسي ليأليه
إذا السراب دنا حتى إذا اكتملت ... بسحر دنياه عيني شط دانيه

أما قصيدته (النبع المسحور) فإنها تحمل رؤاه الشعرية التي حلق بها عبر معان جميلة رائعة، وهو بذلك يتفوق على مخيلته الثرية ويسكب مفردات أحاسيسه ومشاعره، مما جعل النقاد يعبرون عن مقدرة بدوي الجبل، ورهافة الحس، والومضات الخلاقة التي تساهم في إجلاء المشهد الشعري، وترسم أبعاده عبر تلميح يأخذ بالألباب ويجعل القارئ يكد الذهن لمعرفة ما يعنيه الشاعر في تحليقاته.

بردك فوق الخصر يتلوَّى ... فخلفه تطفر جنيتان
يدنيهما الشوق ولم تدنوا ... فهل هما نهدان أم نجمتان
تموج ألحان الصبا فيهما ... كأنما نهداك أغرودتان
عشاق لا للطير بل للهوى ... عشاق بل للطيب قارورتان
عيناك بحر حين أغفى انحنت ... فلملمت أحلامه الضفتان

وتتابع اللوحات الشعرية تراكمها في ريشة بدوي الجبل الذي أطلق لخياله العنان في تأطيرها، وتحويلها إلى كائنات حية يتحرك فيها الجماد بأشكال فنية رائعة تأخذ بلب القارئ وتجعله أسيراً أمام هذه الرسوم المتحركة التي جادت بها قريحته، وجعلته ينفرد في هذا الوصف متجاوزاً كثيراً من معاصريه الشعراء وفارضاً نفسه في الساحة الإبداعية في قصيدته ((عند الغروب)).

قال لي والربيع غاف على الزهر ... يذيع الأحلام عطراً وندا
والغروب الندي في الغوطة المعطار ... يحنو على الظلام... فتندى
وقطيع من الشياه ورعيان ... وأغنية ترقّ فتردى
هل رأت هذه الخمائل قلبي ... من رآها عيناً وثغراً وخدا
هي عندي شمائل وعطور ... وقلوب تهوى ودلّ يفدَّى
أي ورد للحسن تشتفه عيني ... ويبقى بقدرة الله وردا

وهكذا كنا في دوحة الشعر العربي مع عملاق من عمالقة الشعر العربي محمد سليمان الأحمد ((بدوي الجبل)) الذي استطاع أن يرصع جمال شعره على سفر الحضارة العربية، حيث مازالت الجماهير العربية تذكره وتتذكره علماً من أعلام الشعر العربي، الذي أسبغ عليه زملاؤه الكثير من الثناء والإطراء والإعجاب اعترافاً بذاكرة متوقدة مازالت ينابيعها تسيل في شفاه الوطن العربي روعة، وتألقاً ونبوغاً.

المصادر والمراجع:

أكرم زعيتر: ديوان بدوي الجبل، المؤسسة العربية للدراسات – بيروت، لبنان، 1986م.
بدوي الجبل – شعر – مطبوعات اتحاد الكتاب العرب.
بدوي الجبل – الأعمال النثرية – مكتبة الشرق الجديد – دمشق 2001م.
مختارات للشاعر عام 1968م للأستاذ مدحة عكاش.

القدس..
وكوشان الأرض

مصطفى أبو الرز

على هامة القدس تنبتُ صبارةٌ من يقين
ويرقصُ في العين دمعٌ
وتمتدُّ في الأفق أنظارها
طولَ هذي السنين
أفارس ذاك الذي تحمله الخيل من مشرق الأرض جاء!
تراهُ وراء الجبال يلوح بعيداً بعيداً
وتسمعُ وقعَ خُطى الخيلِ..يمتدُّ حبلُ الرجاء
فمن ذا الذي من وراء الحدود يُلوِّح بالسيفِ
يلمعُ
شقَّ ظلامَ المساء
فهل جاء من مغربِ الأرضِ فارسُ لبّى النداء؟
وهل جاء؟
هل جاء؟
هل جاء؟
ومازالت القدسُ
تحملُ صبارةً من يقينٍ على هامها
ويرقصُ في العينِ دمعٌ
وتمتدُّ في الأُفقِ أنظارُها
لينهلَّ غيثُ السماء
×× ××
فليست تُصدّقُ أن الأُلى في جفافِ الجفاء
رويداً رويداً..
تُوارى المآذنُ
تهوي البيوتُ
ويرتفعُ الشوكُ واحدةً واحدة
وفي كل عينٍ تجذّرُ أكثرُ من شوكةٍ حاقدة
وجرافةٌ تبحثُ عن جذرٍ وهمٍ قديمٍ قديم
تحاولُ أن تدفنَ الذكريات
وتوقظُ أحلامَهم من سُباتٍ
وتبحثُ عن أيّ شيءٍ يُزوِّرُ معنى الحياةِ
ومعنى الممات
تُفتِّشُ عن أحرفِ الوهمِ في الأرضِ
فثارَ في وجهها ألفُ لغم
ومليون (كوشان) أرضٍ قديم
تحبّر من عرق الغابرين
ويكتظُّ
يحملُ
أسماء أصحابه الوارثين
فكنعانُ ورّثهُ من يليه
وها هم بنوه على الأرض قومٌ
وقومٌ هم الآن رهن الشتات
وما زال في القدس جذرٌ
وفي الأرض بذرٌ
وفي الأُفقِ غيثٌ
وما زالت القدس تعني الحياة
وتأبى الممات.

● الوثيقة التي تثبت ملكية الأرض باللهجة الفلسطينية وقد تكون كلمة تركية

صديقي المفقود

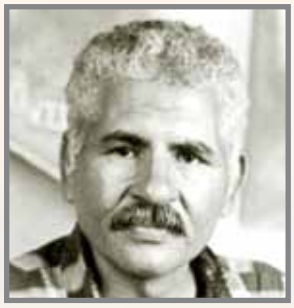

المنجي سرحان

الشاعر المنجي سرحان: هو منجي فراج سرحان فراج. عضو مجلس إدارة اتحاد الكتاب، وعضو جمعية الأدباء في مصر. والمشرف العام على سلسلة الإبداع الشعري المعاصر التي تصدرها الهيئة المصرية العامة للكتاب.

أشرف على ملتقى الشعر بمعرض القاهرة الدولي للكتاب لأكثر من خمسة عشر عاماً.. صدر له خمسة دواوين بعضها طبع أكثر من مرة. وهو أديب شامل يكتب في الرواية، والمسرحية، والدراسات الأدبية.

ما تزال الشوارعُ تحضنه

كنا صديقين،

يُودِعُني سِرهُ،

ويطيل على ساعِدَيّ البكاء أُعَلِّلُهُ،

وأقولُ له: كُنْ!

× × ×

يستدير إلى حُلمه نخلةً

يتباهى بها النخلُ،

تفتح أفياءها للطيور وللناس،

كانَ،

وكانَ،

وكانَ،

× × ×

حين حدَّثني مرَةً

عن بلادٍ لها وجهها

قلتُ دون تَرَوٍّ أفِقْ!

وانْطَلَقْنَا معاً

كان يُتْعِبُني،

كُنّا صديقين،

أورثني حزنه

صرتُ أتبعه،

بين وِرْدٍ لأحلامه وجراحي

أعود فَيَلْكِزُني

فأقولُ له: وِيْكَ

يضحك.. يضحك.. يضحك.. يضـ..

ثمَّ يتركني للقلقْ!

× × × × × ×

ها أنا بعد عشرين عاماً ألاقيه..

يُنكرنى..

ويُشيحُ بوجهه.. في دخان الأفقْ!

كان مُمْتَلِئا بالأماني،

وحين تَهَامسْنا مرّةً،

وسألتُ:

لأىّ البناتِ الجميلاتِ يرتاحُ قلبُكَ؟

قال: بلادي..

ضحكتُ

وَضَمَّتْ خُطانا الشوارعُ

والناسُ..

والمفترقْ!

واحتواه الزحامُ..

ضبابُ الوجوه..

صرختُ: أتعرفني؟!

لم يُجِبْ!

××××××

كان شارعُ (كورنيش النيل) يَغْرَقُ في الصَّمْتِ

سارَ وحيداً،

يجرجرُ أشلاءَ أغنية من زمانٍ قديمٍ،

يضيق عليه الرصيفُ،

حين صحتُ: أتعرفني؟!

نَكَّسَ أَحْلاَمَهُ.

وَتَلاشَى الصَّدَى

واختنقْ!

××××××

إيهِ يا نورُ،

يا حبَّةَ القلبِ،

وجه بلادي الحبيبةِ والتوتِ،

يا نخلة عرفَتْهَا شقاواتُ هذا الصّبيَّ القَلِقْ!

كان يحلمُ بالطفل،

تختلفانِ،

تريدين بِنْتاً فيرضخُ،

تقتسمانِ التَّلَهُّفَ..

تَتَّفِقَانِ على مَضَضٍ..

والعصافيرُ قلبُ مِن الشَّوقِ،

يكبرُ،

يكبرُ،

نكبرُ،

أسماءُ تكبرُ،

تكبر أفراحنا..

والرجال يغنونَ..

يَفْتتحُونَ المواجعَ في دَمِكَ المُسْتهامْ!

وعلى الرَّمْلِ كانَ الحمامُ،

يُقيمُ الغِناءَ، ×

وأسماءُ تَفْتَحُ موَّالَها في الحنايا.

× × × × × ×

المنطقة الخطرة

محمد عباس علي داوود

القى منصور بنظراته إلى الطريق، الظلمة يطفح بها الهواء خارج القطار، على البعد تبدو أشباح أبنية متسارعة وراء بعضها إلى الخلف. امتص رحيق سيجارته بنهم.. الغريب أنه لم يحدث شيء حتى الآن.

همس لزميله مخلوف الذي يقف إلى جواره: المواجهة تقترب

تبسم مخلوف: خائف؟

هز رأسه: لا

وهو يتحسس مكان الجرح، بسبب الحجر الذي أُلقى عليه ظل ينزف، الحجر أتى من ذات المنطقة الخطرة، شخص ما أو ربما أشخاص يمطرون القطارات المارة بالحجارة ويتخفون بالظلام.

هل أنت راضٍ عما أنتويت؟

استدار لمخلوف، حدق في قروية ملامحه متأملاً، الغريب أنه لا يفكر في الثأر، هو يعرف جيداً أن الخطر بات يهدد القطارات المارة في هذه المنطقة، قطارات الضواحي التي تشق المدينة من المحطة الرئيسية إلى الضواحي صارت ترتعد كلما مرت بهذه المنطقة خوفاً من دفعات الحجارة التي تصيب الركاب دون تمييز. قال مؤنباً: هل نترك الجاني دون عقاب؟

رد مخلوف: لسنا جهة عقاب.

استدار إليه محتجاً: نترك الخفافيش والبوم يتحكمون فينا؟

- هناك قانون

- وعلينا أن ننفذه

- لسنا في غابة

تركه إلى الطريق من خلال الباب المفتوح، أخذ يتأمل السماء والظلمة المبذورة في الأرجاء، مسنداً ظهره إلى العمود المعدني، متحسساً مكان الجرح أعلى جبهته، كاد الحجر يرتطم بعينه اليمنى، قال لنفسه يومها أنه حجر عشوائي أطلقه عابث، غير أن الأمر تكرر من ذات المنطقة، أصاب أحد السائقين وعرّض القطار للخطر.

تمددت دوائر الحيرة أمام عينيه وهو يسأل نفسه كيف يترك حقه دون رد. غاصت نظراته في بحر الظلمة حوله، هناك بقع ضوئية تتناثر عبر الطريق، انتبه إنها تختفي وتملأ الظلمة الأرجاء، مد رأسه إلى خارج القطار متعقباً أثر الضوء، اتسعت عيناه، شعر بجسده يترنح ويكاد يهوى لولا أن تمسك بالعمود المعدني، القطار يشق الأرض منحدراً في سرعة مذهلة إلى أدنى حاملاً الركاب معه، الحجارة تنهال عليه من كل صوب، هرول إلى كابينة السائق يحذره، يطلب منه إيقاف القطار، وجد الكابينة مغلقة، دق بيديه بابها، صرخ، بكى، لم يأبه له مخلوق، استدار عائداً إلى الركاب، غارقين في متاهة صمت ونظرات ثلجية التعبير، ارتفعت صرخاته محذراً، لم يبال به أحد، فكر أن يقفز، السرعة عالية، هوى أرضاً واضعاً رأسه بن راحتيه وجلس منتظراً مصيره، شعر بيدٍ تهزه من كتفه بقوة وصوت يسأله: مابك؟

أدار عيني الشرود حوله، القطار في طريقه المعتاد وبقع الضوء تتناثر في الأرجاء ومخلوف زميله يحدق فيه بعينيه الواسعتين تركه إلى دفتر التذاكر في جيب سترته الزرقاء، مضى بين المقاعد والأجساد المتلاحمة يدق بقلمه الجاف الأحمر على الحوامل المعدنية وهو يكرر بآلية: تذاكر.

أطلق القطار صفيره يشق به أستار الصمت المطبق على الأرجاء، انتبهت العيون إلى اقتراب منطقة الخطر، امتدت الأيدي لغلق النوافذ والأبواب، صرخ منصور بأعلى صوته: العين بالعين

ضحكوا منه، أشاروا إلى إصابته في عينه ساخرين، وقف وسط الممر لاهث الأنفاس والوقت يمر، مرة واحدة هرول يفتح الأبواب والنوافذ المغلقة ويمد الركاب بالحجارة، طلب منهم أن يكون رد الفعل بنفس مستوى الفعل، عادت الكلمات الهازلة تحاصره، لم يبال بها ومضى نحو باب العربة، فتحه، وقف خلفه والحجارة في يده، اقتربت المنطقة الخطرة، تلاشى الهزل، تآكلت الضحكات وساد ترقب حذر الأعين، اطلق القطار كالعاده صفيره، علت أصوات العجلات في سيرها الحثيث على القضبان، بينما الليل يهرول حول القطار. اقترب مخلوف متوجساً: أخشى أن يحدث شيء!!

بنصف عين اتجه اليه: واذا حدث؟

اندفع: ستكون أنت المسئول

أدار وجهه عنه. انطلق حجرٌ قادمٌ من الظلمة، تلته أحجار، ارتطمت بجسد القطار كمقذوفات غاضبة تنذر بالويل، فزع البعض، علت صيحات، انطلقت صرخات، أطلق منصور قذيفته الأولى نحو الظلمة، تبعها بالثانية، رآه البعض، فعلوا مثله، تشجّع آخرون، مضت الحجارة تشق الهواء متجهة إلى الظلمة في الجهة التي جاء منها الهجوم، بينما القطار يطلق صفيره والعجلات تصلصل بعزم ماضية في طريقها دون خوف.

مجلس أمناء الجائزة يلتقي رئيس وأعضاء مجلس إدارة شركة يوسف بن أحمد كانو في لقاء تشاوري

مبارك سعد العطوي

عقد مجلس أمناء جائزة يوسف بن أحمد كانو اجتماعاً موسعاً برئاسة الوجيه عبد العزيز جاسم كانو رئيس المجلس وأعضاء مجلس إدارة شركة يوسف بن أحمد كانو برئاسة الوجيه مبارك جاسم كانو رئيس مجلس إدارة المجموعة وبحضور أعضاء من إدارة المجلسين.

حيث اشتمل اللقاء على التعريف بدور الجائزة وإسهاماتها وإنجازاتها طوال السنوات الماضية ومقترحات مجلس إدارة الجائزة بالمشروعات المستقبلية لها.

ودار النقاش حول أهمية إضافة مشروعات وبرامج جديدة وزيادة دور الجائزة في المجالات العلمية الأخرى، والاهتمام بتشجيع الشباب ليكونوا شركاء في صناعة مستقبل العلم والمعرفة.

وأعرب سعادة الأستاذ عبد العزيز كانو عن شكره للوجيه مبارك جاسم كانو وجميع أعضاء العائلة وأعضاء مجلس الأمناء لاهتماماتهم بمصلحة الجائزة.

التعاون الثقافي بين الجائزة وشركة عبد الرحمن كانو المحدودة

ضمن برامج الأعمال الخيرية والثقافية، قامت شركة عبد الرحمن كانو المحدودة بطباعة ورعاية إصدارات من مملكة البحرين في مجال الثقافة والرياضة ؛ حيث تم التنسيق مع مكتب الجائزة بالبحث لاختيار الموضوعات والإشراف وإخراج هذه الإصدارات في صورتها النهائية.

كما تم الاتفاق مع الكاتب الأستاذ فهد حسين حسن الذي قام بعمل الدراسة والبحث والتوثيق للوضع الثقافي في مملكة البحرين في كتابه: (في اتساع الأفق.. المشهد الثقافي البحريني 2000-2010م) الذي يقع في (272) صفحة شملت رصداً للحركة الثقافية بكافة تفرعاتها والمؤسسات الثقافية وإنتاجها للمشروعات والأعمال الثقافية طوال السنوات الماضية.

الأستاذ فوزي أحمد كانو

كما تم الاتفاق مع الكاتب والصحفي الرياضي ماجد سلطان مذكور الذي تولى رصد وتحليل وتوثيق الواقع الرياضي في مملكة البحرين منذ التأسيس، والذي أبرز من خلال تجربته الكثير من المشاهد والأحداث التي مرت بها البحرين طوال القرن الماضي في كتابه (الرياضة البحرينية.. سنوات من البناء والتطور) الذي يقع في (173) صفحة، وقد اشتمل الإصداران على كلمة للأستاذ فوزي أحمد كانو رئيس مجلس إدارة شركة عبد الرحمن كانو المحدودة، أكد فيها الدور الذي قام به المرحوم عبد الرحمن كانو وحجم إسهاماته وأعماله، بالإضافة للأعمال الخيرية الإنسانية التي لا تزال تحمل اسمه وبصماته.

كتاب (في اتساع الأفق.. المشهد الثقافي البحريني 2010–2000م) للكاتب البحريني فهد حسين

كتاب (الرياضة البحرينية.. سنوات من البناء والتطور) للكاتب البحريني ماجد سلطان مذكور

الوجيه عبدالعزيز كانو

رئيس مجلس الأمناء.. عبدالعزيز كانو

يدعو المبدعين والمفكرين للمشاركة في موضوعات الجائزة لهذا العام

أعرب الوجيه عبدالعزيز كانو رئيس المجلس عن سعادته للمتابعة والمشاركة من قبل المفكرين والأدباء من أبناء الأمة العربية للتنافس على جائزة يوسف بن أحمد كانو التي أصبحت بفضل الله واحدة من أهم الجوائز العربية الرائدة والداعمة للارتقاء بالمفكرين والأدباء والمبدعين من أبناء الأمة العربية.

وأوضح بأن المجالات والموضوعات التي أعلنت الجائزة لهذه الدورة (الثامنة 2013م) هي كالتالي:

- **مجال الدراسات الإسلامية.. «مبادئ ورؤى لنهضة شعوب الأمة العربية»**
- **مجال المال والاقتصاد والأعمال.. «واقع البورصات العربية بين التحدي والمنافسة»**
- **مجال الطب.. «الجراحة العظمية: ترميم المفاصل».**

راجياً للجميع كل التوفيق، وللجائزة المزيد من التطور والازدهار.

أكـــد الأســـتـاذ مـــبـــارك العطوي على نجاح الخطة الـتـرويـجـيـة والنشر لإصـدارات الجـائزة والتي تشكل إضـافة إلـى المكتبة العربية والوطنية.

مبارك سعد العطوي

المكتب التنفيذي
يشرف على توزيع إصدارات الجائزة

ضمن مساعي مكتب الجـائـزة لـزيـادة النشر والتواصل مع مختلف القطاعات العلمية والثقافية والاقتصادية والمجتمعية، فقد قام المكتب بحملة ترويج وتوزيع للإصدارات التي قامت الجائزة بطباعتها ورعـايـتـهـا ؛ حيث جـرى تـوزيـع هـذه المجـمـوعـات عـلـى الهيئات والمؤسـسـات الثقافية الرسمية والأهلية وممثلي الجهات الإقليمية والعربية وجميع المكتبات والمعاهد والجامعات بمملكة البحرين، وهي كالآتي:

- مجلة كانو الثقافية (العدد الثامن)
- عائلة كانو.. بين البناء والانتماء
- مرض السرطان والتغذية
- أزمة المياه في العالم العربي
- في اتساع الأفـق.. المشهد الثقافي البحريني 2000-2010م
- الرياضة البحرينية.. سنوات من البناء والتطور.

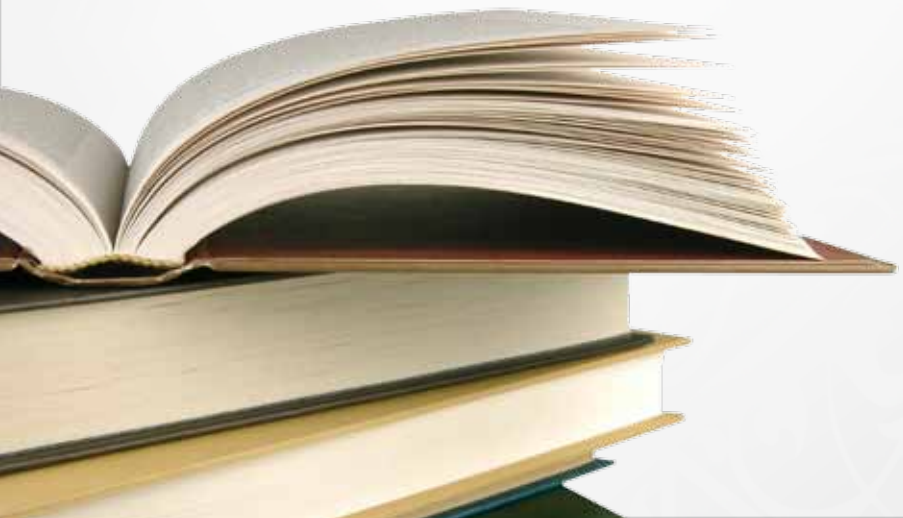

إصـــدارات الجـائـــزة

مجلة علمية ثقافية شاملة تأسست عام 1429هـ – 2008م تصدر عن جائزة يوسف بن أحمد كانو – بمملكة البحرين

– الدكتور سعيد بن عطية أبو عالي: عائلة كانو.. بين البناء والانتماء، 2010م

– الأستاذ الدكتور أحمد عبد الله ثابت: الجينات ومرض السرطان والتغذية، 2011م.

– الأستاذ الدكتور محمد مرسي محمد مرسي: أزمة المياه في العالم العربي، 2012م. وهذا البحث فاز بالجائزة في مجال العلوم.

رحيل البروفيسور الفلسطيني أحمد عبدالله ثابت

فقدت جائزة يوسف بن أحمد كانو أحد أبرز الفائزين بها في مجال الطب لعام 2006م وهو الأستاذ الدكتور أحمد عبدالله ثابت أستاذ الكيمياء الحيوية وكيمياء الأغذية في كلية العلوم في الجامعة الإسلامية بقطاع غزة في فلسطين الذي وافته المنية جراء إصابته بجلطة صامتة في القلب.

وللدكتور ثابت العديد من الكتب العلمية المتخصصة والمقالات المحكمة والأبحاث والدراسات التي جعل المحافظة على (صحة الإنسان) هدفه الرئيس مع طلابه وفي مؤلفاته ودراساته.

له بنتان وولدان كلهم جامعيون منهم مروان الذي يواصل دراساته العليا بجمهورية مصر العربية للحصول على الدكتوراه في مجال الهندسة المعمارية.

وجائزة يوسف بن أحمد كانو ومجلة كانو الثقافية وجميع أفراد عائلة كانو يتقدمون بأحر التعازي إلى زوجته المصون وإلى أبنائه وبناته وإلى جميع زملائه وطلابه.. وإلى جميع كتاب وكاتبات المجلة والقراء والقارئات.. رحمه الله رحمة واسعة

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الأستاذ الدكتور أحمد عبد الله ثابت رحمةالله